أبو الحسن الندوى

أحاديث صريحة
مع إخواننا العرب والمسلمين

أحاديث أخوية صريحة ، ونقد مخلص هادف لواقع العرب والمسلمين وتذكير لهم بمركزهم الدعوى القيادى ، وواجبهم نحو أنفسهم والعالم المعاصر

دار الصحوه

أبو الحسن الندوي

١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م

الطبعـــة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

بقلم : الأستاذ محمد الرابع الحسنى الندوى
عميد كلية اللغة العربية وآدابها فى جامعة ندوة العلماء
ورئيس إدارة صحيفة « الرائد »

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .

اما بعد ! فقد زار فضيلة الشيخ السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى الإمارات العربية المتحدة ، والكويت فى منتصف صفر ١٤٠٤ هـ ، (١٦ ــ ٢٧ نوفمبر ١٩٨٣) وقضى فيها نحو أسبوعين ، ألقى فى خلالهما مجموعة من محاضرات تتسم بالقوة والوضوح ، والصراحة والواقعية ، وتحدث عن واقع العالم الإسلامى وأزمة المسلمين الحقيقية اليوم ، بدأ زيارته هذه من الشارقة التى وفد إليها لحضور مناسبة إفتتاح مكتبة عالم المنطقة الجليل وداعيتها الإسلامى الكبير ، المرحوم الشيخ عبد الله على

المحمود رحمه الله رئيس مركز الدعوة الإسلامية بالشارقة سـابقاً على دعوة من أنجاله الكرام ، السادة الدكتور سـالم ، وأخويه محمد وعلى عبد الله المحمود ، حفظهم الله .

وقد أجاب فضيلة الشيخ الندوى هـذه الدعوة رغم ضعف صحته وزحمة مسئولياته واشغاله فى مقر عمله فى الهند ، وذلك بسبب ما يجمله من حب للمغفور له ، الشيخ عبـد الله بن على المحمود ، ومن تقدير لأعماله فى سبيل الدعوة الإسلامية ونصرة كلمة الحق ، كما اراد بذلك ان ينتهز الفرصة بهذه الزيارة للقيام بواجب الدعوة ، والتنبيه على ما تواجه هذه المنطقة من اخطار ، وما تمر به من مرحلـة دقيقة عصـيبة ، تمر بها الأمة العربية الإسلامية بصفة عامة ، وهذه المنطقة بصفة خاصة ، وما يحتاج ذلك إلى وعى إسـلامى صحيح ، وإستعداد معنـوى خلقى ، وإصلاح عميق شامل فى نهج الحياة ووجهات النظر ، وكان لكاتب هذه السطور شرف المرافقة فى هذه الجولة التاريخية .

لقد كان المرحوم الشيخ عبد الله على المحمود ـ رحمه الله ـ شخصية محبوبة مرموقة فى الشـارقة وشقيقاتها ، كان من خيرة العلماء فى بلاد الخليج ، وعاملا للإسلام جليلا ينصر الحق ويبـذل ما يسعه من الجهد فى خدمة الفكرة الإسلامية ، وكان وارث والده فى العلم والتربية ، فقد انشأ والده الشيخ على المحمود ـ رحمه الله ـ مدرسة للتعليم الدينى ، درس فيها نخبة من ابناء الجيل ، واهتم المرحوم الشيخ عبد الله علي المحمود بخدمة الدعوة والدعاة ، ولما كانت له صلات حسنة مع أعيان المنطقة وأمرائها ، بخاصة مع

حاكم الشارقة وملحقاتها سمو الشيخ السلطان بن محمد القاسمى ، إستعان بهذه الصلات فى خدمة الإسلام والدعوة ، وقد أنشأ بالشارقة مركزاً عالمياً للدعوة الإسلامية تحت إهتمامه وإشرافه ورعاية سمو حاكم الشارقة .

ولما انتقل (١) الشيخ عبد الله إلى رحمة الله تعالى ، أراد انجاله الكرام أن يجعلوا من مكتبته الخاصة ، وداره العامرة — التى كانت دائما دار ضيافة وإجتماع لعلماء الإسلام والدعاة من أنحاء العالم الإسلامى المختلفة — مركزاً علمياً ودعوياً إسلاميا ينتفع به القريب والبعيد ، ويبقى به العمل الإسلامى الكريم الذى كان يقوم به المرحوم ويكون له ذخراً فى الآخرة ، وذلك بمساعدة فضيلة الشيخ على المحويتى القاضى بالذيد بالشارقة ، مساعد الشيخ الخاص فى جهوده .

حضر حفلة إفتتاح المكتبة طائفة مختارة من رجالات الإمارات، وعلى رأسهم سمو حاكم الشارقة سمو الشيخ سلطان بن محمد القاسمى ، وسمو الشيخ حميد بن راشد النعيمى حاكم عجمان ، وعدد من الوزراء والأعيان ، كما حضر المناسبة معالى الشيخ عبد الله نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة . وكان فى زيارة رسمة للإمارات ، وقد أزاح الشيخ السلطان الستار عن اللوحة التذكارية إيذانا بإفتتاح المكتبة ، وألقى كلمة امتدح فيها جهود الشيخ المرحوم عبد الله بن على المحمود ، ثم تحدث الأستاذ

---

(١) كانت وفاته فى ٢٤ من جمادى الأولى ١٤٠٢ هـ (٢٢ من مارس ١٩٨٢ م) .

محمد بن عبد الله المحمود بكلمة شكر فيها سمو الشيخ سلطان بن محمد القاسمى ، ورحب بالشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى، وتقدم بكلمة تعريف به وبجهوده ومؤلفاته ، وبعد ذلك القى فضيلة الشيخ أبو الحسن الندوى كلمته التى كانت مع وجازتها كلمة منيرة دسمة لائقة بالموضع والموضوع ،سننقلها فى آخر هذا التقديم،والقى الدكتور عبد الله نصيف كلمة بهذه المناسبة حث فيها على إنشـــاء المكتبات لما لها من فائدة فى تربية الأفراد .

قضى فضيلة الشيخ الندوى ــ بعد الإنتهاء من هذه المناســبة اللطيفة المفيدة خمسة أيام فى الإمارات ، القى فيها أربع محاضرات قيمة ، محاضرتين فى جامعة الامارات بمدينة « العين » إحداهمــا محاضرة عامة فى مدرج الجامعة الكبيرة ، حضرهــا عدد كبير من أساتذة الجامعة وطلبتها وأعيان البلد ، وغصت القاعة بالحاضرين بصورة غير عادية ، وأخرى فى كلية البنات التابعــة للجامعــة ومحاضرة فى مدينة أبو ظبى ، على دعوة من وزارة الاعلام فى مسجد سعد بن أبى وقاص ، ومحاضرة فى مدينة الشارقة على دعوة من رئيس مركز الدعوة الإسلامية فى مسجد عمر بن الخطاب .

وجميع هذه المحاضرات تدور حول حالة العرب المســلمين الراهنة ، فى بعدهم عن الجد والصرامة ، ووقوعهم فريسة التغافل والتخاذل ، وحول ضرورة العودة إلى صفات الأنفة العربية والغيرة الإســلامية ، والإيمــان العميق الذى يدير دفــة الحيـــاة ، ويسيطر على التفكير والتصرفات ، وسيرة العرب المسلمين الأولى التى نشروا بها الإسلام وفتحوا بها نصف العالم فى نصف قرن ، وقد

لجأ فضيلته فى مواضع من كلامه إلى صراحة تتسم بالقسوة أحيانا، ولكنه لطف من حدتها ووطأتها وجعلها سائغة مقبولة بقوله «إننى ألتقى مع إخوانى العرب الذين أتحدث إليهم ـ زيادة على آصرة الدين الذى هى أقوى آصرة وأفضل رابطة ـ فى النسب (١) واللغة والأدب ، وفى الشعور والعاطفة ، وأشاركهم فى الهوان والشرف ، فلا مانع من أن أكون صريحاً وناقداً ومعاتباً ، فأنا عضو فى هذه الأسرة الكريمة ، وقديماً قال الشاعر العربى :

وفى العتاب حياة بين أقوام

ثم زار فضيلته الكويت على دعوة من وزارة الاعلام فيها بمناسبة إحتفالات القرن الخامس عشر الهجرى وألقى محاضرة علمية قيمة بعنوان « الإسلام والحضارة الإنسانية » فى مدرج كلية العلوم فى جامعة الكويت بالخالدية ، لقيت إستجابة كريمة وآذاناً صاغية من كبار المثقفين فى البلد وعلمائها وأعيانها ، ورحبت به وزارة الأوقاف الكويتية ، وألقى عدداً من المحاضرات ، حضرها جم غفير من المستمعين حيث أن القاعات كانت تغص بالحاضرين ، وتضيق على سعتها على غير عادتها ، منها محاضرة فى قاعة جمعية الإصلاح الإجتماعى بعنوان « واقع العالم الإسلامى » ألقاها على دعوة من فضيلة الشيخ عبد الله العقيل مستشار وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، وسعادة الشيخ عبد الله العلى

---

(١) الأستاذ الندوى ينتهى نسبه إلى سيدنا الحسن بن على إبن أبى طالب وقد حافظت أسرته بعد انتقالها إلى الهند على نسبها الهاشمى العربى وكثير من خصائصها العربية الإسلامية .

المطوع رئيس جمعية الإصلاح الإجتماعى ، وكانت هى الأخيرة ، من أشد محاضراته صراحة وذلك لأن واقع العالمين — الإسلامى والعربى — لا يحتمل عند المحاضر ملقا أو تغطية أو مجاملة لإرضاء الجماهير ، وكما قال فضيلته قد التقت المهازل مع المآسى فى لبنان ، وبلغت الكارثة قمتها فى تلك الأيام التى زار الأستاذ فيها هذه المنطقة الإسلامية العربية ، ولكنه لم ير آثارها وردود فعلها فى هذه المدن العربية الإسلامية . فلا تزال الحياة فيها لاهية ساهية كما لم يقع شىء من هذا النوع . فأطلق المحاضر أنات قلبه الجريح . وكشف عن صدره المكلوم وفاضت كأسه التى طفحت ألماً وأسى . وحق لها أن تفيض وترشح . وقد كانت الحوادث كافية لإثارة مشاعره ومبررة بل موجبة لهذه الصراحة والمرارة . فقد كان شأنه فى موكب هذه الانطباعات والمشاعر ، شأن الشاعر العربى الذى يقول :

سقونى وقالوا لا تغن ولو سقوا

جبال سليمى ما سقيت لغنت

ويستحق مستمعو هذه المحاضرات — وفيهم الشخصيات الجليلة والعاملون للإسلام — التقدير والإعتراف برحابة صدورهم وتقديرهم لكلمة الحق ، مهما كانت مرة وقاسية . فقد تلقوها ببشاشة وتقدير ، وعدم إمتعاض أو إستنكار .

ولما كان موضوع هذه المحاضرات (باستثناء الكلمة الملقاة فى مناسبة افتتاح المكتبة) موضوعاً واحداً تقريباً وهو موضوع الساعة ، فمن المفيد أن يطلع عليها عدد أكبر من أبناء هذه المنطقة،

والمسلمون عربهم وعجمهم ولذلك ألقى عليها صاحب المحاضرات حفظه الله نظرة بعد أن نقلت من الأشرطة ، وتناولها بشيء من التنقيح والتهذيب ، وزيادة وحذف يسيرين ولعموم النفع ننشرها في مجموعة بعنوان (أحاديث صريحة لإخواننا العرب والمسلمين) وهي بين يدي القراء ، وقد أضاف الأستاذ محاضرة سابقة كان ألقاها في الشارقة في مسجد على في سنة ١٣٩٩ هـ ، فبراير ١٩٧٩ م ، عنوانها «درس من الحوادث» لإتصالها بموضوع هذه المحاضرات وروحها وهدفها ، إكمالا للفائدة وزيادة في قيمة هذه المجموعة .

وحيث أن كلمة الشيخ الندوي في حفلة إفتتاح مكتبة الشيخ على المحمود كانت فاتحة كلماته في هذه الرحلة وفي مقدمة أسباب جولته في الخليج العربي ، وإن كانت على موضوع علمي ، ننقلها هنا بكاملها ، وقد سجلت وجاءت مقتطفاتها في الصحف المحلية ، ونظر فيها صاحب الكلمة وتناولها بشيء من التنقيح وزيادة يسيره، والإحالة إلى المراجع التي جاء ذكرها في هذه الكلمة ، وإلى القراء كلمة هذا الحفل .

محمد الرابع الحسني الندوي
٢٠ من ربيع الأول ١٤٠٤ هـ
٢٦ من ديسمبر سنة ١٩٨٣ م
ندوة العلماء ، لكهنؤ
(الهند)

دور الأمة الإسلامية في الحركة العلمية والتأليفية

العالمية وإنشاء المكتبات وخزانات الكتب

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعه بإحسان ودعا بدعوته إلى يوم الدين ، أما بعد:

إن من ألغاز التاريخ العالمية الكبرى ، التى لم تحل بعد هى أن أكبر حركة علمية تاريخية معترف بها فى التاريخ ، فى العالم... إنبثقت من أعظم أمة أمية ، هذه الأمة التى قامت بهذا الدور الكبير فى توسيع آفاق العلم ، وفى الإبتكار العلمى الممتاز الضخم إبتكاراً لا يوجد له مثيل فى تاريخ الديانات ، فى تاريخ الأمم والشعوب التى قامت على أساس الديانات ، مع أن نبى هذه الأمة أمى ، **إنها** لغزة تاريخية تطلب حلا ، ولكن ليس حلها سهلا **إذا** عللت هذه اللغزة فإنما تعلل بإرادة الله القاهرة دبحكمة الله الباهرة .

وقد تحلل هذه اللغزة بأن أول وحى نزل على سيدنا **محمد** ﷺ وجه فيه إلى العلم ، ومن الغريب المستغرب الذى **لا يزال** يسترعى انتباه الفلاسفة والمفكرين فى العالم ، أن أول ما ذكر فى هذا الوحى القلم ... هذه القطعة الخشبية الهينة التى كانت نادرة غريبة فى الجزيرة العربية ، فقال الله تعالى فى وحيه ، ((**إقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم،**

الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم » إنه لم يكن يتوقع إنسان عاقل فى ذلك الحين ، إنسان عرف طبع الجزيرة العربية ، لا أقول الشائن ولكن الغريب ، مكانة الجزيرة العربية فى عالم العلم ، فى عالم التأليف وفى العالم المتصل بالأقلام المستعين بالأقلام المستعين بالكتابة ، إن الذى اطلع على هذا الوضع الغريب الذى كانت تعيشه الجزيرة العربية لم يكن يتوقع أبداً أن أول وحى ينزل على الرسول الأمى عليه الصلاة والسلام وأن أول اتصال للأرض بالسماء ، وبالأولى إتصال السماء بالأرض ، بعد فترة طالت وإمتدت خمسة قرون على الأقل ، يذكر فيه القلم ، هذا القلم... هذا القلم المنسى ، هذا القلم المتروك ، هذا القلم المستهان بقيمته الذى إستغنى عنه حتى أصبح لقب العرب الشائع السائر «أميين» **« هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ... »** **« وكذلك أوحينا إليك روحا من امرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا ، وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم »** **«وقال: ما كنت تتلو من قبله من كتابولا تخطه بيمينكإذا لارتاب المبطلون»**.

فهذا تناقض تاريخى ، وهنالك تناقضات تاريخية كثيرة ، ولكن من أهم هذه التناقضات هو إنبثاق النشاط العلمى والحماس العلمى الذى لا اجد كلمة تحسن التعبير عن هذا التناقض هذا الحماس ، ويحق لمن لا يحب هذه الأمة ، ولا يحب هذه الدعاية أن يقول أو يسمى هذا جنونا ، لكن هذا التفانى فى سبيل العلم انبثق من دعوة نبى أمى لم يقرأ كتابا ، والذى سأل سيدنا على رضى الله عنه . أين اسمى ، ووضع ﷺ أصبعه ، وتنازل لمصلحة

الناس فى صلح الحديبية .

كيف إنبثقت هذه الحركة العلمية العالمية الخالدة الممتدة على الأفق ، الممتدة على الزمان والمكان ... مساحتها الزمنية مساحة قوية من أقوى المساحات الزمنية ، ومساحتها المكانية من أكبر المساحات المكانية التى عرفت فى تاريخ العلم والتأليف ، ومساحتها المعنوية أوسع من كلتا المساحتين ، وكذلك مساحة التنوع والتفنن فى العلم والموضوعات .

أذكر لكم على سبيل المثال : أن عالما هنديا إسمه العلامة محمود حسن التوكى ، ألف كتابا فى الهند فى بلاد لا تتكلم اللغة العربية ، وليست اللغة العربية هى لغة الديوان « فى بلده » ولا لغة السياسة ولا لغة الصحافة ولا اللغة اليومية ... يوفقه الله إلى تأليف كتاب سماه « معجم المصنفين » فى ستين مجلداً يحتوى على عشرين ألفا من الصفحات ، وعلى تراجم أربعين ألفا من المصنفين ، وناهيك من سعة الكتاب وإستقصائه أن فيه ألفين من المؤلفين كلهم يسمون « أحمد » وقد لخص فى كتابه نحو ألف وخمسين من الكتب ، وذكر كل من ترك بالعربية كتابا منذ بدأ العهد التأليفى فى الإسلام إلى ١٣٥٠ هـ (١) ، أين هذا النشاط العلمى ، أين هذا الإنتصار العلمى ، أين هذه الفتوح العلمية التى غمرت الآفاق والتى غمرت الحدود الجغرافية ؟

---

(١) ظهرت من الكتاب أربعة أجزاء طبعت فى بيروت على نفقة حكومة حيدر آباد السابقة .

أين هذا النشاط العلمى من هذه الأمة الأمية المباركة ، التى وصف الله تبارك وتعالى نبيه الحبيب إليها ، فقال « النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل » .

السبب فى هذا السر أن الوحى الآول يشيد بالعلم ، وينــوه بالقلم ، إن هناك ديانات أيها السادة ، ترى حياتها فى موت العلم ، وترى ازدهارها وإنتصارها فى إنهزام العلم ، كما أن هناك حكاية تقول أن بعوضة شكت إلى سيدنا سليمان الريح الهوجاء ، قالت : إن الريح الهوجاء تظلمنا كثيراً ، فإذا هبت لجأنا إلى الفرار ، فقال لابد من إحضار المدعى عليه ، ودعا الريح فإذا بالبعوضة قد طارت ، فقال كيف نحكم على قضية فى غيــاب مدعيها ، كذلك أصــحاب الديانات الكثيرة ، ومن هذه الديانات ديانة البرهمية فى بلادنا التى تعيش فيها ، فهى ترى سر بقائها فى عدم إتصال مجتمعها بالعلم ، وعدم إطلاعه على الحقائق العلمية ، بالعكس من ذلك الإسلام ، الذى يربط مصير الدين بالعلم ومصير العلم بالدين ، كل منهما يرتبط مصيره بالآخر ، فالدين لا يعيش إلا بالعلم ، والعلم الحقيقى لا يعيش إلا بالدين ، إن الإسلام قد أضاف إلى فتوح الإنسان ، لقد عثر على الوحدة التى تربط بين وحدات العلم .

كانت وحدات العلم مبعثرة ، بل كانت فى أغلــب الأحيــان متناقضة ، علم الطبيعة يخالف الدين ، علم الحكمة يخالف الدين . . وقد ألف علماؤنا كثيراً فى الجمع بين الدين والحكمة ، فالإسلام إنما أضاف إلى تقدم العلم وإلى مقدرته على التقدم فى كل مكان ومكان بأنه أكتشف تلك الوحدة التى تربط الوحدات بعضها ببعض .

ما هى هــذه الوحدات ؟ إنها معــرفة الله تبارك وتعــالى ((**ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطــلا ، سبحانك فقنا عذاب النار**)) إنه إكتشف الوحدة التى تجمــع بين الوحدات الكونية وهى إرادة الله .

وحدة إرادة الله هى الوحدة التى تربط الــوحدات الكونية بعضها ببعض والتى قد تبدو متناقضة ، وتاريخ المكتبات فى العالم تاريخ قديم وتاريخ عريض واسع ، كان تأسيس المكتبات وإنشاء خزانات الكتب من هوايات علماء المسلمين وأمرائهم ورؤسائهم ، فقــد روى تاريخ الأدب العربى أن خزانة الصــاحب بن عبــاد إشتملت على مأتين وستة آلاف مجلد (١) وقد ألف حبيب بن أوس الطائى المشهور بأبى تمــام كتابه الخالد الحماسة ، فى مكتبــة الأمير أبى الوفاء بن سلمة فى الجبال شرق العراق حين وقع ثلــج عظيم سد الطرق ، فانتهز الفرصة وعمل ديوان الحماســة من الدواوين الوفيرة التى كانت فى مكتبة أبى الوفاء (٢) وهكذا كتب كثيرة ألفت فى مكتبات شخصية ، وكان ذلك شأن الأمراء والرؤساء فضلا عن العلماء والمؤلفين فى الهند (٣) وأنا أعرف بصفتى هنــديا أن كثيراً من الأقيال ومن الملاك فى زمن الإنجليز وقبلهم وبعدهم كانوا يحتفظــون بمكتباتهم الشخصــية الخاصــة ، وإن كانوا لا

---

(١) معجم الأدباء ٧ ص ٩٧ .

(٢) تاريخ الأدب العربى للزيات ص .

(٣) يكفى للمثال خزانة خدابخش خان فى بيته ، ومكتبة السرى الفاضل الشيخ حبيب الــرحمن الشروانى فى عليكره ، ومكتبــة الأمير سالار جنك فى حيدر آباد .

يستطيعون أن ينتفعوا بها شخصـــياً ، لأنهم لم يكونوا أصــحاب إختصاص ولم يكونوا أصحاب دراسات ، لكنهـم كانوا يفتخرون بأنهم كملكون مكتبة يرجع إليها من ينزل عليهم ضيفاً من العلماء ، فلا يسأم ولا يضيق صدره بل يشغل نفسه بقرائة الكتب .

ونظرة فى الكتب التى الفت فى القديم فى إستعراض مؤلفات علماء المسلمين فى مختلف العلوم والفنون كالفهرست لابن النديم فى القرن الخامس الهجرى ، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للحجاج خليفة جلبى (فى القرن الحادى عشر الهجرى) وتاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان ، وتاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين فى العصر الحديث ، تكفى للدلالة على هيام علماء الإسلام بالكتابة والتأليف ، وتفننهم فى مختلف مجالات العلم وموضوعاته ، يكفى لفهم عالمية هذه الحركة العلمية التأليفية ما كان لشبه القارة الهندية البعيدة عن مركز الإسلام ومهد العلوم الإسلامية من قسط هائل وإسهام رائع فى هذه الحركة المباركة ، ونظرة عجلى فى كتاب والدنا العلامة السيد عبد الحى الحسنى (م١٣٤١ هـ) « الثقافة الإسلامية فى الهند » الذى طبعه المجمع العلمى العربى فى دمشق وأصدر لــه الطبعة الثانية حالياً ، تكفى للدلالة على ما كان لعلماء الهند من إنتاج كثير من أنواع الثقافة الإسلامية ، ولا أعرف فى دراســتى القاصرة لتاريخ العلوم والفنون وتاريخ الأمم والشعوب أن أمة شغفت بالعلم خالصاً لوجه الله وخالصاً للعلم ، ولا أعــرف أمة شغفت هذا الشغف العظيم للعلم كأمة الإسلام الأمية .

ومناسبة إفتتاح مكتبة المرحوم الشيخ عبد الله بن على المحمود رمز من رموز التاريخ الثقافى للمنطقة ، وهى عرفان بالجميـــل

لفضائل الفقيد ، وارجو أن تكون هذه المكتبة نواة لمكتبة كبيرة تسهم فى إنشاء جيل إسلامى جديد ، وأنا أهنىء هذه الأسرة الكريمة انجال الفقيد العظيم فقد قاموا بواجبهم وأحسنوا الإختيار وهو إنشاء هذه المكتبـــة .

فللمكتبات دور كبير واهمية عظيمة فى تنشئة الجيل الجديد وتكوينه العقلى والثقافى والتمهيد للقيام بحركات إصلاحية واعيـــة تعتمد على فهم الإسلام والدراسات الإسلامية والدراسات العميقة الواســـعة .

ولقد كانت الصلة التى تربطنى بالشيخ صلة دينية علمية بعيدة عن كل إعتبار دنيوى ، وأكثر ما أكبرته فيه هو الغيرة على الدين والإيمان والإحتساب فى الأعمال ، لقد رافقته فى الهند خلال بعض جولاته الدعوية فوجدته كان يحتسب كل خطوة ويحتسب كل حركة فى سبيل الله تعالى وفى سبيل الدعوة الإسلامية وفى سبيل رفـــع كلمة الإسلام ، ولى الفخر الكبير أن احضر هذه المناسبة الخالصة المخلصة وفاء لحق عالم ربانى مخلص لله تعالى كمـــا أعرفه ، وهكذا يجب ان يكون وفاء التلاميذ للأساتذة ، وهكذا يجب أن يكون حب الأبناء للآباء .

وحضور هذه المناسبة الكريمة وفاء ببعض حقوقه علينـــا وإعترافاً بفضله ، رفع الله درجاته وتقبل منه صالح أعماله وجعـــل البركة فى بيته وأنجاله ، وأشكركم على دعوتكم والسلام عليكم .

أزمة هذا العصر الحقيقية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين خاتم النبيين محمد وآله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

أما بعد ! فإنى أحمد الله تبارك وتعالى أولا على توفيقه وعلى ما هيأ لى من هذه الفرصة الكريمة للإجتماع بهذه المجموعة الطيبة من المثقفين وأبنائنا الشباب العربى المسلم ، وأبناء هذه الجزيرة أشبال الأسود وورثة المجد الخالد القديم وموضع الأمل للمستقبل، ولكن الشعور بالمسئولية والشعور بالإستفادة من هذه الفرصة التى لاتسنح دائماً وفى كل مكان ، يدفعنى إلى أن أتكلم بصراحة ، وإذا تكلمت بصراحة فى هذه القطعة من العالم الإسلامى الذى تعلم منه العالم الإسلامى ، بل العالم الإنسانى كله الصدق والصراحة ، وكان هذا الصدق والصراحة عاملين قويين حاسمين فى تحويل التيار وفى إرغام التاريخ على أن ينحو نحواً جديداً فأرجو عدم المؤاخذة على الصراحة التى سيتسم بها حديثى .

إخوانى ! إنه كثر الحديث عن الأزمات ، وأصبح الشغل الشاغل للمثقفين الدارسين المعنيين بالقضايا البشرية حتى أصبح موضة من الموضات .

فيتحدث كثير من الناس عن الأزمة الإقتصادية وبعضهم يتحدث

عن الأزمة القيادية ــ أزمة القيادة ــ وبعضهم يتحدث عن الأزمات السياسية حتى نزل الناس إلى مستوى الحديث عن أزمة العملة وأزمة البنائين ، حتى وصلوا إلى أزمة الطباخين والسواقين فى بلد راق كبير ، ولكنها كلها أزمات جانبية طفيلية وبعضها خيالية .

إن الأزمة الحقيقية ، الأزمة العالمية الإنسانية ــ يا سادتى وإخوانى ــ هى « أزمة عدم وجود القدوة الصالحة على مستوى الشعوب والأمم » إننى لا أتحدث عن أزمة الأفراد ، الأفراد كانوا أو لا يزالون فى كل عصر ، ولكن الأفراد لا يستطيعون أن يغيروا التيار وأن يحدثوا انقلاباً ، الأزمة الحقيقية هى عدم وجود القدوة الصالحة على مستوى الشعوب والأمم ، فأصبحت الشعوب والأمم قطعاناً من الغنم لا راعى لها ، قد كان العالم ــ العالم الإنسانى ــ فى القرن السادس المسيحى عالماً جسداً بلا روح ، جسداً بلا قلب ، جسداً بلا ضمير ، لا إنسانية ولا خلق ، ولا وازع دينى ، ولا كتاب سماوى محفوظ فى الحقيقة ، كان الناس من غير قيادة ، وكان الناس يتخبطون فى الظلمات ، ويرسفون فى الأغلال ويشحطون فى الدماء ، ولا بصيص فى نور .

فأرسل الله نبيه محمداً ﷺ فى هذه الجزيرة العربية التى نلتقى فى جزء منها اليوم ، أرسل نبيه محمداً ﷺ وبعثه بعثة نبى ، ولكن بعثته كانت ــ أيها الإخوان ــ بعثة مقرونة ، بخلاف كثير من بعثات الأنبياء ، إنها كانت بعثة ثنائية ، بعثة نبى مقرونة ببعثة أمة .

وهذا مالا يتفطن له كثير من المتأملين فى القرآن ــ ولا مؤاخذة ــ إن الله سبحانه وتعالى يصف هذه الأمة بصفات لا تنطبق إلا على

مبعوث مأمور من الله فيقول : **« كنتم خير امة اخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »**
(آل عمران) .

إننى فى دراسة مقارنة للديانات وللكتب السماوية لا اجد هذا الوصف الدقيق الشامل ، وهذا الخط الفاصل بين أمة وأمة ، امة قلدت مسئولية ليس فوقها مسئولية إلا مسئولية النبوة فقط ، فكانت بعثة النبى محمد ﷺ بعثة مقرونة مشفوعة مرتبطة ببعثة أمة ، هذا هو الشىء الذى اثر فى مصير الإنسانية ، وكانت تجربة جديدة فى تاريخ الديانات ، وفى تاريخ مصائر الأمم وفى تاريخ الإتجاهات ، ولعل بعض اهل العلم والدراسات يستغربون هذا التعبير ، وربما يشعرون فيه بشذوذ أو تطرف ، ولكنى أستشهد بقول رسول الله ﷺ حيث قال لجماعة من الصحابة رضى الله عنهم : **« إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين »** (١) وقد كان هذا الشعور بمسئولية البعثة وبمسئولية المأمورية يملأ جوانح الصحابة رضى الله عنهم والتابعين لهم بإحسان .

كان الواحد منهم ولو لم يبلغ مبلغاً عظيماً من الثقافة ، كان يشعر بأنه مبتعث ، ومسئول أمام الله عن مصير الإنسانية وعن الشعوب والأمم .

---

(١) أخرجه البخارى ، ولفظ الحديث : قام اعربى فبال فى المسجد فتناوله الناس فقال لهم النبى ﷺ دعوه وهريقوا على بوله سجلا من ماء أو ذنوبا من ماء فإنما بعثتم ، ميسرين ولم تبعثوا معسرين .

فلما سأل رستم سيدنا ربعى بن عامر ، قال له : ما الذى جاء بك إلى هنا ما الذى أخرجك من الجزيرة العربية ؟

فقال القولة المجلجلة ، المدوية ، المسجلة فى التاريخ ، التى لا أعرف لها نظيراً فى الكلمات التى تقدم بها السفراء والرسل ، رسل الملوك ، رسل الحكومات ، وحملة المسئولية الكبيرة أمام قادة البلاد ، أمام من كان يملك زمام الأمم والشعوب .

إنه أولا خطأه ، وإنتقده ، فكأنه يقول ما جاء بنا شىء ، ما جئنا لأنفسنا ، يســجل التاريخ الأمين هذه الكلمات وهذه النبرات ، وكأنى أسمعه الآن يقول : « الله ابتعثنا » .

إخوانى ! إستحضروا هذه الثقة التى قد ملأت جوانح هذا الرجل الأعرابى البدوى ، ومدى إبتعاده عن كل نوع من أنواع مركب النقص ، رستم ، قائد قوات الفرس ، جالس على سرير ملوكى ، وهذا الرجل الأعرابى الذى نزل من فرسه وصار يطأ الزرابى المبثوثة ، ويستهين بهذه الزخارف المصطنعة ، لمــا قال له رستم : ما الذى جاء بك ؟ كانت مأة ردود ، جاء بنا الجوع ، هذا أقل شىء ، جاء بنا الشعور بالمهانة ، هذا فوقه ، جاء بنا الواقع الأليم الذى نعيشه ، جاء بنا الشعور بالاضطهاد وبالظلم والجور الذين أنتم مصدرهما ، لا ! يقول بكل ثقة وإعتزاز ، يقول بكل طمأنينة وسكينة ، كأن الإيمان ينطق على لسانه ويفيض من صدره ، يقول لا ! ما بنا شىء ، الله ابتعثنا .

هذه الثقة التى امتاز بها الرعيل الأول من حملة رسالة الإسلام فى القرن الأول الهجرى ، وفى القرن السادس المسيحى .

كانت بعثة هذه الأمة ، الفريدة فى إيمانها ، الفريدة فى ثقتها ، الفريدة فى سيرتها وخلقها ، الفريدة فى رحمتها للإنسانية ، الفريدة فى بساطتها وجديتها ، الفريدة فى إتصالها بالأسرة الإنسانية وبتألمها بواقع الإنسانية الذى كانت تعيشه فى كل بقعة من بقاع الأرض ، كانت تجربة جديدة ، كانت هذه البعثة الجماعية ، البعثة التى إنخرط فى سلكها العرب كلهم فأصبحوا رواداً ، أصبحوا حملة الرسالة ، أصبحوا حملة المشعل ، أحدث هذا تحولا فى التاريخ ، لأن واقع العالم الإنسانى الذى كان يعيشه قبل القرن السادس المسيحى أوسع وأسمى من أن يؤثر فيه الأفراد الصالحون ، إن القرآن يشهد بوجود أفراد صالحين فى اليهود المغضوب عليهم ، فيقول : « **ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين** » (١) ولكن لا أثر لهم فى المجتمع الإنسانى وفى المسيرة الإنسانية ، لأنهم أفراد ، فبعثة الأمة على هذا المستوى من الإيمان والعقيدة والأخلاق ومن الصدق والصرامة ومن الجدية والفروسية ، ومن الإيثار على النفس ومن التضحية كان أعظم تحول شهده التاريخ الإنسانى .

إن الفراغ الهائل ، الفراغ الأعظم الوحيد هو عدم وجود أمة تتخذ مثالا وقدوة للأمم ، الأمم لا تحسب للأفراد حساباً — هذا معلوم — الأمم والشعوب ، خصوصاً الشعوب السائدة التى

---

(١) آل عمران ، آية ١١٣ ، ١١٤ .

تملك القيادة لا تحسب لأفراد صالحين ، يوجدون فى كل أمة تقريبا ، وفى الشعوب العربية والأمم الإسلامية ، لا تحسب الشعوب الأوربية لهؤلاء الأفراد حساباً ، إنما تتطلع الشعوب إلى شعب مثالى ، إلى شعب قائد ، قائد الإنسانية ، شعب يمتاز عن الشعوب الأخرى فى متانة العقيدة وقوتها ، وفى روح الإيثار والتضحية وفى البساطة فى المعيشة وفى التسامى على الشهوات والأنانيات ، لا يستهويهم الشىء الذى يستهوى هذه الشعوب رغم سيادتها وقيادتها ورغم تقدمها فى الثقافات وفى الفلسفات وفى العلوم .

إن الشعوب الأوربية بل العالم الإنسانى المعاصر الآن لا يخضع أقل خضوع ، إنه لا يرفع لشعب رأساً لا يتميز عن هذه الشعوب فى شىء والذى يحسب أن نصيبها أقل من هذه الشعوب ، والذى يتحلب فمه وتتقطع أنفاسه فى الجرى وراء هذه الشهوات ووراء هذه اللذات التى يعبدها الأوربيون ـ صدقونى أيها الإخوان ـ لو ملك المسلمون أضعاف أضعاف ما خولهم الله تبارك وتعالى وما أعطاهم وأكرمهم به من مال وثراء ، ووسائل للعيش الرخى الناعم ، والحكومات الكبيرة الواسعة ، والتقدم فى العلوم والفنون لا يحسب العالم المعاصر للمسلمين وللعرب أى حساب ، إنهم فى إعتزاز بنفوسهم ، ويعرفون أنهم قادة العالم وقادة المدنية ، وأن الشعوب كلها متطفلة على مائدتها ، إن أكبر كبير يزور عاصمة أوربية أمريكية ويبذر فيها القناطير المقنطرة ، ويبنى فيها القصور الشامخة ، ويسبح فى عالم من الخيال ، وينقلب فى أعطاف النعيم ، ويعيد تاريخ ألف ليلة وليلة ، لا يرفع الأوربى إليه نظره ، ولا يحنى رأسه أمامه ، أما إذا رأى رجلا ولو كان فقيراً يتسامى على هذه

الشهوات التى يعبدها الأوربيون كالأصنام وأكثر من الأصنام ، يرى رجلا لا تخدعه هذه البهرجة ، لاتخدعه هذه الزخرفة المصطنعة ، هذا الفسيفساء الصناعى ، هذه المدنية الباهرة لا تبهر عيونه بل يقف فى طريقها وقفة عملاق ، وقفة منارة نور فى بحر من الظلمات ، يسخر من هذه المدنية وينبذها نبذ نواة ويحتقرها ، ويؤمن ويعلن كذلك ، أنه صاحب رسالة ، أنه منقذ للإنسانية ، انه جيش الإنقاذ ، إنها فرقة المطافىء ، (Fire Brigade) العالم كله مريض ونحن جمعية الإسعاف ، هذه الثقة هى التى تجعل الأوربى ، والهندوسى ، واليابانى ، والصينى يفكر مأة مرة فى صلاحية الإسلام وفى قدرته على إنشاء مثل هذا الجيل .

والفراغ الذى ملأته الأمة الإسلامية فى القرن السابع المسيحى هو فراغ القيادة العالمية بجدارة وبقدرة وإستحقاق ، وبعثة أمة بأسرها ، كل فرد من أفرادها يحمل المشعل ، ويشق الطريق فى الظلمات ، كما قال عقبة بن نافع : « يارب لو لا هذا البحر لمضيت فى البلاد مجاهداً فى سبيلك » (١) .

وهكذا كانت الثقة تملأ نفوس المسلمين الأوائل ، كان المسلمون يؤمنون بأنهم مبعوثون أو مبتعثون (إذا أخذنا بالإحتياط والدقة) إذا كان النبى مبعوثا فهم مبتعثون ، مأمورون ، ولكن كل واحد كان يعتقد أن عليه المسئولية ، وان فى يده امانة ثمينه ، امانة المصير الإنسانى ، امانة الحظ الإنسانى ، امانة مستقبل المدنية الإنسانية .

---

(١) الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٤٣ .

هذا هو الشىء الذى حدد المكان المعين المعلوم للأمة العربية الإسلامية ، وحـــدد دورها ، دورها القيادى فى معـــركة الأمم والشعوب السياسية والإقتصادية وغير ذلك .

ففى الحقيقة نحن الآن فى حاجة إلى أن نكون القدوة الصالحة على مستوى الشعوب والأمم ، الآن كما يقول أبو العلاء المعرى :

ويانفس جـــدى إن دهـــرك هازل

فالدهر هازل الآن ، الناس يعيشون فى مهزلة ، هذه المهازل التى تقراون اخبارها فى الجرائد ، كل يوم تطلع عليكم الصحف والجرائد بمهزلة ــ مع الأسف ــ وبمأساة كذلك ــ ومـــع الأسف الشديد ــ قد التقت المهزلة بالمأساة فى بيروت فى لبنان ، وقـــد تلتقى المآسى بالمهازل ، والمهازل بالمآسى ، وليس ذلك إلا لأننـــا أصبحنا هزيلين وهازلين ، هازلين غير جادين ، اصـــبحنا فاقدين للإيمان الصحيح وللثقة ، العالم المعاصر ينـــادى الغوث الغـــوث ، النجدة النجدة ، أيتها الأمة الإسلامية العربية ، إن اوربا أصبحت كلباً يلهث ، إن تحمل عليـــه يلهث أو تتركه يلهث ، وأصبحت المدنية الأوربية جملا مجتراً فقط ، قد خلت جعبتها عن كل جديد فريد مفيد ، إنما تعب فيه علماء أوربا فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر ، هو الذى يستعين به الأوربيون الآن ، قد فقدوا الجدارة والجدة ، والقدرة على حل المشاكل والأزمات ، والعبقرية القيادية المتحررة من التقليـــد والعمـــل الرتيب الـــروتينى ، والشجاعة الخلقية الإقدامية .

الآن هنالك فراغ واحد ، أنا لا أصدق أن هنالك فراغاً آخر ، الفراغ الوحيد الذى يوجد فى خارطة العالم المدنية والمصيرية، هو فراغ وجود أمة تحمل الرسالة وتحمل السيرة ، تحمل الخلق ، هى صاحبة الإيمان ، صاحبة الجد والصرامة ، صاحبة روح النضال ، صاحبة الفروسية ، صاحبة الإيثار والتضحية .

هذا هو الفراغ الوحيد الموجود الآن فى خارطة العالم الإنسانى ، ولا يملأ هذا الفراغ إلا المسلم ، ولا تملأ هذا الفراغ إلا الأمة العربية الإسلامية ، قد كانت رائدة للإنسانية فى القرن السابع وما بعده من القرون ، ولا تزال رائدة الرسالة الإسلامية الإنسانية فى هذا القرن ، لو عرفت قيمتها ، ولو عرفت منابع قوتها ، ولو عرفت ضخامة رسالتها ، ولو عرفت عظم مسئوليتها ولكننا لاهون ساهون .

متى تنهض الأمة العربية الإسلامية وتحمل الرسالة من جديد والنور الوحيد هو نور الإسلام ، وهو النور الذى لايزال عند العرب فى صفحات القرآن وفى صفحات السيرة النبوية ، وإننا أبناء القارة الهندية ، ننظر إلى هذه الجزيرة كأمة رائدة ، كحاملة لهذه الرسالة .

إننى أؤمل فى أبنائى طلبة الجامعة ، أن يهيئوا نفوسهم لهذا المنصب الرفيع لمنصب القيادة ، ليكونوا مثلا كاملا وقدوة حسنة صالحة للمتمدنين الذين يتزعمون التمدن والتقدم والتقدمية .

إننى الآن ــ ولو كنت رجلا صغيراً ــ أمثل الإنسانية ،

إن أذنى المتواضعة الضعيفة تسمع هواجس النفوس ، وخلجات الضمير الإنسانى ، أنا واقف هنا وأسمع ما يجول فى خاطر الأوربيين والأمريكيين فى أقصى العالم ، ويمكنكم أن تسمعوا كذلك إذا اتصلتم بتيـــار الحيـــاة .

إننى خصوصاً أوجه كلمتى إلى أبنائى الشباب ، إشحنوا بطاريتكم بالشحنة الإيمانية النبوية الإسلامية ووطنوا نفوسكم على الجد والصرامة ، والبطولة والفروسية ، وعلى التســامى على الشهوات والأنانيات ، لا يستعبدكم المـــال ولا تستعبدكم المـــادة ، ولا تســـتعبدكم المناصب ، كونوا عبيداً لله تبـــارك وتعالى حتى يسوغ لكم أن تقولوا « الله إبتعثنا لنخرج من شاء من عباده إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جـــور الأديان إلى عدل الإســـلام » .

والعالم الإنسانى مصغ بأذنه ليسمع الكلمات الرنانة الحنانة ، هذه الكلمات التى قسمت التاريخ بين قسم وقسم والإنسانية بين شقية وسعيدة ، والأمم بين متردية وناجية .

أكتفى بهذا وأشكركم أيها السادة مرة ثانية على إتاحة هذه الفرصة الغالية للإجتماع بكم ورؤيتكم هنا ، ورؤية أبنائى الشباب والحديث إليهم فى صراحة وصدق وإخـــلاص .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

دور المرأة فى بناء المجتمع الإسلامى

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد وآلـه وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، اما بعد !

فيقول الله تبارك وتعالى « **فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى** » (١) ويقول« **من عمل صالحاً من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون** » (٢) .

يسعدنى أن أتحدث إلى نصف المجتمع العربى الإسلامى فى هذا البلد ، وإلى عماد الأسرة الإسلامية وعمودها الفقرى ، إلى بنـات المسلمين السيدات المسلمات ، فمثل هذه الفرصة يجب أن تنتهز ويستفاد منها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلم إذا إنتهى من وعظ الرجال من الصحابة رضى الله تعالى عنهم إنصرف إلى وعظ النساء السيدات وكن يشكين ، ويعاتبن ، إذا كان هناك إخلال بحقهن ، وكان الرسول ﷺ اجل من ذلك وكنت أحسب نفسى مقصراً ومسيئاً إلى نفسى وإلى مهمتى لو لم تتم لى هذه الفرصة ، فينبغى ان اشكر الذين يرجع إليهم الفضل فى تنظيم هذا اللقـاء الكـريم .

---

(١) آل عمران آية ١٩٥ .
(٢) سورة النحل آية ٩٧ .

أخواتى وبناتى العزيزات الكريمات الأصيلات فى إسلاميتهن ، وفى عروبتهن ، وفى شرفهن ومجدهن ، وفى غيرتهن الإسـلامية والدينية والعربية ، هوايتى فى التاريخ وأكثر مؤلفاتى تدور حول موضوع تاريخى ، هنالك لغزة من ألغاز التاريخ ، وهى أنه كيف إستطاع المسلمون العرب الذين خرجوا من جزيرتهم ، وواجهوا حضارتين راقيتين قد بلغتا القمة فى الرقى وفى تفنن المدنية ، وفى الأناقة ، كيف إستطاع هؤلاء العرب الذين كانوا لا يزالون بدائيين (ولا أقول صحراويين) فى معيشتهم ، حتى ينقل المؤرخ العربى الأمين الذى يحكم على غيره وعلى نفسه بصدق وصراحة — وهذا مما يمتاز به التاريخ العربى والإسلامى — يقول : لمـا رأى العرب الرقاق من الخبز حسبوها مناديل فأخذوها وصاروا يمسحون بهـا أياديهم ، فإذا هى أرغفة تتفتت ، ولما رأوا الكافور حسبوه ملحا فاستعملوه فى الطعام ، ثم عرفوا أنه الكافور ، هكذا كان المستوى ، وليس بعجيب ، إن أكـثر من فتح العـالم ، وأكثر من أنشـأ حكومات راقية أو مدنيات رفيعة كانوا بدائيين فى المعيشة ، وكان عندهم شىء من التقشف فى الحياة ، أما الأمم والشعوب التى أصبحت فريسة المدنية الزائفة المصطنعة ، فإنها تنهار بسرعة أو بعد فترة قصيرة ، كان العرب بدائيين ، وكانوا محدودين ، وكانت حياتهم فى جزيرة العرب حياة بسيطة بدائية محدودة ، وكان فيها التقشف والفروسية والجلادة والغيرة .

إستطاع العرب بذلك أن يحافظوا على خصائصهم العربية التى تمكنوا بفضلها أن يدوخوا العالم وأن ينشئوا إمبراطورية من أوسع الإمبراطوريات التى قامت فى العـالم ، ولكن لمـا خرجـوا من

جزيرتهم إمتحنوا بمحنة عظيمة دقيقة ، ما هى تلك المحنة ؟ المحنة أنهم لم يتصلوا بالشعوب الراقية إلا عن طريق التجارة العابرة ، وعن طريق بعض الرحلات ، ولكنهم ما ذاقوا طعم المدنية وما جربوها عملياً ، فلما خرجوا من جزيرتهم ، واجهوا حضـــارتين من أرقى الحضارات البشرية ، الحضارة الرومانية البيزنطية التى كان مركزها القسطنطينية ، والحضارة الإيرانية الفارسية التى عاصمتها المدائن ، وكانت هاتان الحضارتان قد بلغتا من المبالغة فى الإسراف وفى البذخ ، حتى أن كسرى إمبراطور إيران فى أثناء لجوئه وتنقله بين البوادى والقرى ، لما لجأ إلى رجل فلاح فقير ، وكان قد إشتد به العطش فطلب الماء ، فلما قدم إليه الماء فى كوب من خشب قال والله لو مت عطشاً لمـــا إستطعت أن أشرب من هذا .

إلى هذا الحد بلغت المدنية ، ومن طبيعة الإنسان أنه يخضع للشىء العالى السامى الكبير فى حسابه ، هذا هو الذى ســجله التاريخ وهو الذى تشهد به مشاهداتنا وتجاربنا ، فالواحد حين يزور عاصمة من عواصم أوربا والمدن الكبـــيرة فى أمريكا يندهش ويبهر لبه ويسقط فى يديه ويقف حائراً مشدوهاً أمام هذه المدنية ، وإن كان قد جربها بعض الشىء فى محله ، من الذى لم يعرف منا المدنية الغربية ، وهو فى ركن من أركان هذه الجزيرة أو هو فى قرية بالقارة الهندية لا ، كل واحد يعرف ، يعرف بالقياس ، يعرف بالسماع ، ولكنه إذا زار عاصمة غربية يقف حائراً مشدوهاً مغلوباً على أمره .

وهنا يتساءل الدارس للتاريخ ويقول كيف استطاع العرب أن يتماسكوا وأن يحافظوا على شخصيتهم الإسلامية والعربية وعلى

خصائص أمتهم وعلى إسلاميتهم ، كيف إستطاعوا أن يحافظوا على العقيدة الإسلامية ، ثم زيادة من ذلك كيف استطاعوا أن يحافظوا على الآداب الإسلامية وعلى نمط الحياة الإسلامية ، هذه لغزة تطلب جواباً دقيقاً وليس جواباً سريعاً مرتجلا .. لا ! إنها تحتاج إلى دراسة وإلى مقارنة أمينة من الشعوب وطبائعها وملابساتها ، وأجوائها وتجاربها ، كيف استطاع البيت العربى والإسلامى أن يحافظ على الآداب والحياة الإسلامية وعلى الحجاب والحشمة ، ويحافظ على الصلوات وعلى بساطة المدنية ؟ والجواب الدقيق الأمين والمنصف ، أن العرب المسلمين والفاتحين للعالم إستطاعوا ذلك بفضل النصف الآخر من المجتمع الإسلامى وهو السيدات المسلمات .

فلولا تماسك السيدات المسلمات الصالحات القانتات ، الحافظات ، لولا تعاونهن مع الرجال ، لولا إقتناعهن بفضل المدنية الإسلامية ، لولا تمسكهن الشديد بالعقيدة الإسلامية ، لولا غيرتهن على الإسلام وعلى أدب الإسلام لما إستطاع العرب ذلك ولما كان فى إمكان العرب هؤلاء الفاتحين المصابين بدهشة الفتح العقلى ، والفتح العقلى هو أشد وطأة وأعمق تأثيراً من الفتح السياسى .

وأنا أضرب لكم مثلا : التتار أخضعوا العالم الإسلامى فى القرن السابع الهجرى من اقصاه إلى أقصاه ، داسوه بأقدامهم وبسنابك خيلهم ، وأهانوا المسلمين إلى آخر درجة ، حتى أصبح من الأمثال السائرة والقضايا المسلمة « إذا قيل لك أن التتر إنهزموا فلا تصدق » إلى هذا الحد بلغت الدهشة ، بسطوة التتار ،

ولكن التتار قد خضعوا للإسلام والمسلمين عن طـــريق الحضارة الإسلامية ، إنهم هزموا المسلمين فى الميدان السياسى والحربى ولكنهم إنهزموا أمام الحضارة الإسلامية ، وللحضارة ما يكون من التأثير مالا يكون للسيوف والمدمرات .

فكيف إستطاع العرب أن يقفوا أمام هذا النفوذ الحضارى وهذه البهرجة الحضارية ، وهذا البريق الباهر للألباب والمعشى للعيون ، كيف إستطاعوا أن يقفوا أمامه غير مأخوذين ، غـــير مسحورين ، غير متأثرين ؟

إن التحليل العلمى التاريخى يقول : إن الفضل فى ذلك يرجع إلى الأسر الإسلامية ، كانت الأسرة الإسلامية مدرسة كاملة تربى أبناء المسلمين وتنشئهم على العقيدة الإسلامية وعلى الخصـــائص الإسلامية ، وكثير من كبار المجـــددين ومن كبار المصـــلحين فى الإسلام إنما هم غرس أمهاتهم ، فهذا سيدنا عبد القادر الجيلانى الذى أحدث إنقلاباً روحياً ، والذى قامت له حكومة ، ربما كانت أوسع من حكومة العباسيين ، هى الحكومة الروحية الخلقية ، إنما كان من غرس أمه ، يقول : لما خرجت من جيلان قالت لى أمى : يا بنى ، أوصيك بوصية واحدة ، لا تكذب ، فتمسك بهذا حتى قال للصوص الذين أغاروا على قافلته لما سأله أحدهم هل معك شىء ؟ قال : نعم ، عندى دنانير مخيطة فى الثوب ، فأخرجها ، وتاب الرجل وردت جماعة اللصوص كل ما نهبوه من القافلة .

وهكذا أنا أعـــرف من تاريخ الهنـــد أكثر ممـــا أعرف من تاريخ الإسلام العام ، فنرى أن كبار المصلحين ، والدعاة ، وكبار

الحكام فى الهند كانوا مدينين فى تمسكهم ومدينين فى إنسانيتهم الرقيقة لأمهاتهم ، ولو بدأت أحكى عن أمى رحمها الله وما كان لها من فضـــل فى تربيتى وفى تنشـــئتى لكـــان الشىء الكثـــير ولكننى أستحى .

فأقول للأخوات المسلمات ، هنالك مدرسة تربى الجيل الجديد ، وهو حجر الأم الرؤوم ، فإذا كانت هذه المدرسة قائمة بدورها ورسالتها الحقيقية لما أشفقنا على جيلنا الإسلامى الجديد فى العالم ، وانا أعرف أن الزعيم محمد على والذي كان من أقطـــاب حركة التحرير في الهند ، والذى كان يسيطر على قلوب المسلمين وعلى قلوب الهندوس وعلى قلوب الجماهير ، كان هو نتيجة لتربية أمه ، وقد حكي الشيء الكثير عن أساليب تربيتها ، وكيف أنشأت فيه الإيمان ، وهنالك أناشد على لسان أمه تقول له : نفسك فداء للإسلام ، هب نفسك لله ، وهكذا .

اريد أن أقول إننا أمام الواقع المكرر ، إن الأمة العربية الإسلامية الآن تواجه الحضارة الغربية ، والحضارة الغربية من أقوى الحضارات التى عـــرفت فى تاريخ البشر ، ولاشك فى ذلك لأنهـــا إقترنت بفتوح سياسية ، وبالفتح العقلى والفتح العلمى والتكنالوجى، ثم صادف ذلك ضعف المسلمين الذين كانوا هم أصحاب الرسالة الأخيرة وكانوا هم القادة للإنسانية .

نحن أمام واقع اليم ومرير ، نحن لا نســـتطيع أن نواجه هذه الحضارة بشجاعة ، وأن نتخلص من مواضع الضعف فيهـــا ، ونقتبس مواضع القوة فيها إلا إذا كانت الأسرة الإسلامية قائمة بروحها وبرسالتها وبخصائصها ، بل الطفل المسلم والشاب المسلم

إنما ينشآن فى هذه المدرســــة ويتخرجان منها ــ إذا إســـتخدمنا المصطلحات الجامعية ــ قبل أن يتخرجا فى جامعةالإمارات أو الكويت مثلا ، فيجب أن تبقى هذه المدرسة الداخلية مدرسة الأم المسلمة على صفتها الأولى ، وأن تحافظ على قوتها وعلى روحها .

وهــذه المسئولية ملقاة على عواتقكن أيتهـــا الشابات والبنات المسلمات العزيزات . فأنتن إذا أردتن أن ينشأ الجيل الجديد مسلماً فى أعماق قلبه ، ومسلماً فى حضارته ، ومسلماً فى آدابه وفى أخلاقه وفى سلوكه ، فالمسئولية تقع عليكن ، والله سبحانه وتعالى قد قرن الجزاين فى المجتمع الإسلامى بؤية واحدة فى قوله : ((**فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمـــل عامل منكم من ذكـــر أو أنثى**)) وقال : ((**من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة**)) وهنالك التاريخ الإســـلامى وكتب التراجم حافلة بذكر السيدات الفاضلات ، العاملات المربيات المفكرات ، المعلمات المحدثات ، المفسرات ، الأديبات ، لو بدأت أذكر أخبارهن لضاق الوقت ، ولكنكن ستدرسن إن شاء الله فى كتب التراجم ، ومنكن من تستطيع أن تنال الدكتوراة فى ذكر السيدة الخنساء الشـــاعرة الإسلامية المؤمنة التى جهزت بنيها للقتال والموت فى ســـبيل الله فلما سمعت بشهادتهم قالت الحمد لله الذى أكرمنى بشهادتهم ، والسيدة خولة بنت الأزور المساهمة فى غزوات الشام الأولى ، وفى ذكر رابعة العدوية البصرية ، والسيدة كريمة المروزية راوية صحيح البخارى(١)

---

(١) هى السيدة كريمة المروزية (٣٦٥ ــ ٤٦٣هـ) كانت تروى صحيح البخارى ، قال إبن الأثير إنتهى إليها علو الإسناد للصحيح ، يقال لها أم الكرام وبنت الكرام (مخلصاً من الأعلام للزركلى) .

أو فى ذكر بعض المسلمات الشهيرات .

والمقصود أن المجتمع الإسلامى لا يمكن أن يمشى برجل واحد . فكل إبن آدم يمشى برجليه ، فالمجتمع الإسلامى مجتمع حي نلم ، بشرى إنسانى ، لا يستطيع أن يمشى برجل واحدة مهما كانت قوية ونشيطة . وإن المجتمع الإسلامى لا يمكن أن يتحرك فضلا عن أن يمشى إلا برجلين سليمتين قويتين نشيطتين أمينتين . فلتكن هاتان الرجلان مثالا للعضو البشرى السليم الوفى .

وقد خلق الله فى النساء كل صلاحية وكل قدرة للبلوغ إلى الكمال،وفى التقدم فى مضمار العلم وفى الربانية والروحانية والتقرب إلى الله .. فالأعلام فى التاريخ الإسلامى إعترفوا بفضل بعض السيدات فى عهدهم ، ويذكرون من فضائلهن الشىء الكثير ، وكيف إستفادوا وإنتفعوا بكلماتهن الحكيمة ، وسيرتهن العطرة وهكذا ، بل يبقى هذا التيار مستمراً ، تيار الحياة الإسلامية والعشرة الإسلامية، والمجتمع الإسلامى فى هذا العصر ، كما إستمر وأدى رسالته وقام بواجبهفى العصور الماضية،ولذلك إنشئتهذه الجامعات وهذه الفروع والكليات للبنات، وإلا فى أوربا الشىء الكثير وفى إفريقيا وفى آسيا وفى غير بلاد المسلمين الكثير من الكليات النسوية ، والنساء يواكبن الرجال هنا فى كل قسم من أقسام العلوم ، ولكن إنما أنشئت هذه الكليات فى عقر الديار الإسلامية وفى الجزيرة العربية ــ التى كانت مهبط الوحى ومطلع نور الإسلام لهذا ــ الفرض ، لتشعر البنات المسلمات بواجبهن وبرسالتهن وبمسئوليتهن نحو الأسرة الإسلامية ونحو الحضارة الإسلامية ، ونحو العصر الحاضر .

هذا ما فتح الله به على ووفقنى ، ولا أريد أن أطيل عليكن وأشكر المسئولين عن الجامعة أنهم قد فتحوا هذا المجال للحديث فى هذا الوقت الذى كان وقت الدراسة ، وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على الروح العلمية وعلى تقدير إخوانهم الذين يجيئون من بلاد بعيدة ولا يملكون شيئا من النفوذ السياسى ولا النفوذ الإجتماعى إنما قيمتهم خدمة العلم والدين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

إلى الإسلام من جديد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان ودعا بدعوتهم إلى يوم الـــدين .

أما بعد ! فإن موضوع الليلة ــ فى هذه الأمسية المباركة ــ وهو « إلى الإسلام من جديد » وقد يبدو غريباً وقد يبدو تحدياً فى هذا المجتمع الإسلامى الذى تعيشـــون فيه ، ونعيش فيـــه هذه اللحظات المباركة ، وقد يبدو إساءة إلى إخواننا المسلمين الذين نتحدث إليهم ونخاطبهم ودعوناهم بهذا العنوان ، فما معنى ذلك ؟ ألسنا مسلمين ؟ ويحق لكل واحد منكم أن يتساءل : أما سمعت الأذان يدوى فى الآفاق لما وصلت إلى هذا المكان ، أما رأيت الناس يصلون ، أما علمت شيئاً عن هذا البلد الإسلامى الكريم ، فما معنى « إلى الإسلام من جديد ! » .

لقد قررت هذا العنوان قصداً لا عفـــواً ، فإنى أريد أن أثير فيكم التساؤلات الكثيرة حول هذا الموضوع ، معاذ الله ، إننى لا أشك فى إسلامكم أيها السادة وإخوانى العرب ، بل أنا مدين لكم فى كل ما أكرمنى الله به من إيمان وعقيدة ، وشعور ، وإنسانية رقيقة ، وغيرة إسلامية ، وإن كل ذلك فيض من إيمانكم وغيرتكم ودعوتكم التى حملتموها فى الماضى ، إنى لا أقول عن نفسى ، فاننى

عربى النسب ، وعربى اللغة ، وعــربى الأدب بدراسة ، ولكنى أقول عن المواطنين الذين نعيش بينهم كانوا يعبدون البقر ، وكانوا يعبدون النهر وكانوا يعبدون الشجر ، وكانوا يعبدون كل شىء إلا الله ، فأكرمهم الله ، وهبت عليهم نفحات الإسلام الذى جاء به محمد ﷺ بهذه الجزيرة ، أنا قلت لإخوانى الهنود ، أنا لا أرى الجزيرة العربية كلها ــ بما فيها دولة الإمارات ــ إلا إمتداداً لمكة ، لا أنظر إلى هذا البلد وإلى بلد أبعد عن هذا البلد إلا وكأنه من ضواحى مكة ، فان مكة والمدينة شرفهما الله تعالى هما مصدر كل خير ، وهما مصدر الحياة الجديدة .

لولا الإسلام لما نلتم هذه السعادة ولمــا كانت لكم أهمية ومكانة ، ليس فى خارطة العالم الإسلامى بل فى الخارطة السياسية ، بل فى الخارطة الثقافية ، والخارطة المعنوية اللتان هما أهم من الخارطة السياسية ، فإن الخارطة السياســية تتبدل فى ظرف ساعات ، ولكن الخارطة الثقافية تدوم قروناً ، بل آلافاً من السنين ، والخارطة المعنوية ، والخارطة الخلقية المبــدئية هى تدوم آلاف السنين ، وهى التى تصنع السياسة ، ليست السياسة هى التى تصنع العقيدة ، بل العقيدة هى التى تصنع السياسة ، أما تذكرون قول الرشيد ؟ وما قيمة الرشيد ؟ وما قيمة الخلافة العباسية؟ كله صدقة من صدقات النبوة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام ، إستطاع الرشيد لمــا ورث الإسلام ، ولمــا حمل أمانة الإسلام ، ومسئولية الحكم الإسلامى ، إستطاع أن يقول لسحابة مرت فوق رأسه « أمطرى حيث شئت فسيأتينى خراجك هنــا » تصوروا يا إخوانى هل كان للرشيد ولإبنه مأمون الرشيد أو لأخيه المعتصم

او لأى ملك من ملوك المسلمين ان يقول ذلك ولو مرت بهم قرون عديدة ، كانوا يتسـكعون فى الجهـالات ، كانوا يتخبطـون فى الظلمات ، لم يكن لهم وزن فى كفة السياسة ، ولا فى ميزان الثقافة ، ولا فى ميزان المبدىء والأخلاق ، كل ذلك جاء عن طريق محمد عليه الصـلاة والسلام .

معاذ الله ، يا إخوانى من ان أدعوكم للإسلام من جديد ، إن الإسلام هو الإسلام ، ولا يزال هو الإسلام ، المسلمون تغيروا، ولكن الإسلام كما كان ولا يزال ، ولكن اريد أن نراجع نفوسنا وان نراجع نمط حياتنا ، ونحكم على نفوسنا ونرى هل نحن نتحلى بحقيقة الإسلام ؟ هل نحن نحمل حقيقة الإسلام ؟ إن هنالك فرقاً شاسعاً بين الحقيقة والصورة ، وخذوا صورة اسد واى حيوان اكثر منه مهابة واعلى منه صوتاً ، واشجع منه قلباً ، وإن كان الأسد مضخماً مجسماً مفخماً ، فإن صورة الأسد لا ترعب أحداً ، حتى ولو كان الطفل الصغير الذى يحمل حقيقة الحياة والشعور فى اصابعه الصغيرة البريئة ، يستطيع ذلك الطفل أن يمزق صورة الأسد ، الذباب يجلس على صورة هذا الأسد ، والأسد لا يدافع عن نفسه كما يقول القرآن عن الأصنام « **وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب** » (١) .

لقد أصـبح كثير من المجتمعـات الإسلامية صورة إسلامية وفقدت الحقيقة الإسلامية ، إنما ندعو نفوسنا وانا أحشر نفسى معكم ، إننى ادعو وإياكم يا إخوانى التحـلى بحقيقة الإسلام ،

---

(١) سورة الحج آية ٧٣ .

حقيقة الإسلام التى تدعو إلى التوحيد الخالص ، التى تدعو إلى ان لا يخاف المسلم أحداً فوق الأرض أو فى الكون ، حقيقة الإسلام التى تدعو إلى معرفة الله تبارك وتعالى ، معرفة تحقر فى عينهالدنيا وزخارفهـا ومظاهـرها ، حقيقـة الإسـلام التى تعلـم إيثـار الآخرة على الدنيا . حقيقة الإسلام التى تعلم الإستهانة بالزخارف والمظاهر ، حقيقة الإسـلام التى تنظـر إلى متـاع الدنيا كأنه متـاع زائل ، حقيقـة الإسلام التى تدعو إلى شىء من التقشف فى الحياة ، حقيقة الإسلام التى تنكر البذخ والترف المـدمر للأمم والشعوب الذى كان يعيشه الفرس والرومان كان الأمير منهـم يتمنطق بمنطقه لا تقل قيمتها عن مأة الف ، وإذا قلت قيمتها عن ذلك عـير وإزدرتـه العيـون ، وإذا لبس أحـد من كبراء الفرس ــ وهـذا يقوله الإيرانيون أنفسهم ، والعـالم الدنماركى (A. I Christensess) الذى هو صاحب إختصـاص فى تاريخ إيران ، يسجل ذلك فى كتابه « إيران فى عهد الساسانيين » ــ إذا لبس أحدهم قلنسوة قيمتها أقل من مأة الف عير ، وما فسح له المكان ليجلس بجوار أركان الدولة ، وبجوار الكبراء والأغنيـاء ، ولمـا إضـطر يزدجرد آخر أباطرة إيران لمـا إضطر لمغادرة البلاد لينجو بنفسـه أخـذ الف طابخ ، وألف مرب للصـقور ، وألف مغـن ، ثم يقول يا أسفاه كيف أعيش بهذه القلة القليلة من الطهاة والمربين والمغنين فهو يختنق ويضيق صدره ، ويقول ما يمكننى أن أعيش بهذه الحفنة من الخدم والحشم ولى الف طاه فقط .

إلى هذا الحد بلغت المدنية الإيرانية المزورة ، وإلى هذا الحد بلغت المدنية الرومانية البزنطية ، وفى التاريخ تفاصيل عن ذلك ،

فماذا كان عاقبة هاتين المدنيتين ؟ إنهما إنهارتا أمام الإسلام الزاحف ، أمام الإسلام الحقيقى أمام الإسلام الإنسانى الاسلام الذى جاء رحمة للإنسانية ، ولإنقاذ البشرية ، والشعوب المضطهدة المستعبدة من براثن القياصرة والأكاسرة ، فقد كان بسيطاً متقشفاً فى الحياة ، زاهداً فى الدنيا ، دافقاً بالحيوية والقوة ، إن من أسباب إنهيار هاتين المدينتين البذخ والترف اللذان قد بلغا القمة وإلى حد لا يتصور ، لا أستطيع أن ألم بدقائق عن المدنية الرومانية وعن أناقتها وعن تفننها وعن دقة شعورها . وعن إمعانها فى الإسراف ، وعن شغفها بالمظاهر والزخارف .

فالذى أخشاه على هذه الأمة يا إخوانى ، وعلى أن أقول لكم بكل صراحة ، إن هذا المنبر يفرض على أن أكون صريحاً . وما أدرى هل تمتد حياتى إلى أن آتيكم مرة بعد برة ، وأثير فيكم هذه المعانى ، فأقول لكم بكل صراحة إننا فى أشد الحاجة إلى التحلى بحقيقة الإسلام وبروح الإسلام الحقيقية ، التى تغلغلت فى أحشاء الصحابة رضى الله عنهم وإستطاعوا بذلك أن يفتحوا نصف العالم فى نصف قرن ، كما يقول المؤرخون ، لولا التقشف فى الحياة ولولا الصرامة والجلد ، وقوة الإرادة ، ولولا الفروسية العربية الإسلامية ، لما إستطاعوا أن يفتحوا نصف العالم فى نصف قرن ، الشىء الذى لم يحققه أحد من الفاتحين أو من المنشئين لتلك الإمبراطوريات .

اقول لكم يجب علينا أن نحاسب أنفسنا قبل أن ينزل بنا ما نزل بالأمم السابقة التى حصدها البذخ الخيالى ، لا يجوز لنا أن نعيش عيشة ألف ليلة وليلة ، عصر الف ليلة وليلة إنقضى من غير رجعة ، ليس له محل الآن فى العالم الواقعى ، يجب علينا أن نكون

واقعيين ، يجب علينا أن نوطن نفوسنا على الجلد ، لا اقــول الرهبانية ، بل اقول على شيء من التقشف العربى ، كما قال سيدنا عمر بن الخطــاب رضى الله عنه : تمعــددوا ، وإخشوشنوا ، وإخلولقوا إلخ .

إن الدين هو الدين ، والإسلام هو الإسلام ، ولكن نحتاج إلى إيمان جديد بالإسلام ، ليس الإسلام قديماً ولا حديثاً ، الإسلام كالشمس بل اقدم من الشمس واجد من الشمس ، ولكن نحتاج إلى إيمان جديد ، إيمان يستطيع أن يتغلب على المغــريات العصرية ، كل شىء يتجدد ، الغذاء يتجدد ، ودعوة المادية تتجدد وتقوى ، فلماذا لا يتجدد الإيمان ؟ إن الإيمان البالى ، الإيمان الــذى فقد الحيوية ، فقد القوة ، لا يستطيع أن يقاوم هذه المغريات الفاتنة ، هذه الحضارة الساحرة ، هذه المادية الرعناء .

لو لم يكن عند الصحابة رضوان الله عليهم مثل هذا الإيمان الإسمى لمــا إستطاعوا أن يقاوموا الحضارتين الرومانية والإيرانية اللتين قد بلغتا شأواً بعيداً ، وقد ضربتا الرقم القياسى فى عالم الخيال ، ولكن بايمانهم الحقيقى الثابت الملتهب كالشعلة ، إستطاعوا لا أن يتغلبوا فقط ، بل أن يحرقوا هذه الأكوام من الحشائش ، وهذه المجموعة الكبــيرة من الركامات تغلب إيمانهم على الركامات البشرية ، جاء الإيمان وسحق هــذه الأنقاض المادية الملوكيــة الشهوانية الأنانية ، وبغير ذلك الإيمان الحى الــدافق المتغلغل فى الأحشاء المسيطر على النفس لا نستطيع أن نقاوم المغريات المادية الحديثة التى جاءت بها أوربا لتلهينا عن أهدافنا وعن خلقنا وعن

سيرتنا ، وانتم إخوانى العرب أولى بذلك ، فلولا هذه الفروسية العربية ، ولولا التمرد على الشهوات ولولا الإستهانة بالحياة ، ولولا الإستهانة بالمظاهر ، لما إستطاع العرب أن ينشروا الإسلام فى أقرب وقت وفى أوسع مجال .

جاءنا العرب فى القارة الهندية ، حتى الآن ما يزال أثرهم باقياً فى مقاطعة السند ، وما تزال هناك كلمات عربية ينطق بها أهل السند الهندوس ، لا يزالون يسمون يوم الخميس خميساً ، ولا يزالون يسمون الحصير حصيراً ، ولا يزالون يسمون الثوم ثوماً، وما زال خطهم عربياً إلى أن إنتشرت فيهم الدعوة الطائفية .

وكان أثر العرب أعمق فى أندونيسيا وملـيزيا ، ذهبت طوائف من تجار العرب ، وكونوا هذه المجموعة الكبيرة من المسلمين ، وما يزال المسلمون يشكلون المجموعة الكبيرة فى جزر المحيط الهندى ، بأى طريق ؟ بطريق إيمانهم الحى الدافق ، بطريق خلقهم المستقيم ، بطريق أمانتهم ، بطريق نصيحتهم ، وطريق مساعدتهم لكل بائس ملهوف ، بطريق حرصهم على نشر الإسلام ، فيجب علينا أن نتحلى بهذه الحقيقة الإيمانية ، ولا نكتفى بالصورة ، إن الصورة الإسلامية بلا شك فيها خير كثير ، وهى أجمل وأروع من كل صورة ، ولكنها على كل حال صورة ، إذا تجردت من الروح ، ولكن إذا إقترنت هذه بالحقيقة ، وسرى فيها الروح الإيمانى كانت العجب العجاب ، وظهرت منها المعجزات .

والعالم اليوم ــ رغم ما تقرأون من أخبار سطوة الشعوب الأوربية ــ عالم منهار ، ومجتمع مفكك ، مجتمع متعفن ، مجتمع فقد

الروح ، لا يحتمل الصدمة ، ولكن أين تلك الصدمة التى تصدم هذه الحضارة ، الحضارة التى قد أينعت وحان قطافها ، ولكن أين السلة التى تقع فيها كما يقول محمد إقبال ، يقول : الحضارة العربية قد نضجت وأينعت وحان قطافها ، وقريباً تسقط من الغصن ، ولكن أين السلة التى تحملها ، ليس هنالك بديل ، والفراغ غير طبيعى ، الفراغ فى الأمم وفى الحضارات ، وفى نظم الحكم ، وفى عالم الواقع لا يتصور ، لابد من بديل ، وكان المسلمون بديلا عن الحضارة الرومية ، وعن الحضارة الإيرانية ، فاختارهم الله سبحانه وتعالى ومنحهم القيادة العالمية ومنحهم السيادة والريادة والحب العميق . أحبتهم الأمم المفتوحة وفضلتهم على أصحاب ديانتها وجنسيتها .

لذلك أنا عينت موضوع المحاضرة فى هذه الليلة « إلى الإسلام من جديد » ولو كان عندى فرصة أو وسيلة لإبلاغ صوتى إلى أقصى العالم الإسلامى وطلب منى هتاف واحد بعد « الله أكبر لأخترت إلى الإسلام من جديد » ولو قيل لى إختر لوحة مكتوبة نعلقها لكتبت عليها « إلى الإسلام من جديد » فإلى الإسلام من جديد أيها المسلمون من قديم ، أيها المسلمون من الأول .

لابدّ من أولى بقيّة ينهون عن الفساد فى الأرض فى كل زمان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين ، محمد وآله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

اما بعد ! فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم **« فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الأرض إلا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا مآ أترفوا فيه وكانوا مجرمين »**(١).

سادتى وإخوانى ! هذه آية من سورة « هــود » كلما تلوتها إقشعر جلدى وثارت فى المشاعر ، إن الآية فى أسلوب قرآنى مؤثر مرقق ، لا أجد تعبيراً يعنى بحق هذه الآية ، يقول الله تبارك وتعالى : **« فلـولا كان من القــرون من قبلكـم أولـو بقيـة »** إن كلمة « أولو بقية » كلمة لا يفى بها تعبير ولا شرح ولا تفسير ، يعنى لمــاذا لم يكن حين إنتشر الفساد فى قطعة من الأرض وفى العالم ـــ كما كان الشأن فى القرن السادس المسيحى ، فى الجاهلية العالمية التى طبقت الآفاق (ولا تصوير أدق من تصوير القــرآن **« ظهــر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى**

(١) سورة هود آية ١١٦ .

عملوا لعلهم يرجعون ») (١) **ـ أولو بقية ينهون عن الفساد ؟**
وهذا أسلوب القرآن يحيل على الماضى ولكنه يثير فى المعاصرين لنزوله المباشرين لتلاوته ، الشعور بالمسئولية فى الحاضر ، فإن القرآن هو الكتاب الخالد الذى لا تبلى جدته ، هو الكتاب الذى يعاصر الأحداث ويعاصر الأمم والأجيال ، ولا يساير الزمن فحسب ، بل يسبق الزمان ويقود البشرية ، فيرجع بنا إلى الماضى لنرجع إلى الحاضر والمستقبل (٢) ، فكأنه يقول لماذا لا يكون فى الجيل المعاصر لنزول القرآن ، والأجيال المخاطبة بالقرآن فى كل زمان ومكان أولو بقية ؟ و « أولو بقية » كلمة لو ألف كتاب ضخم فى شرح هذه الكلمة (أولو بقية) ولماذا يوصفون بأولى بقية ، وما هو الفرق بينهم وبين سائر الناس ، لقصر القلم ، وعجز اللسان ، وإنتهى الكتاب .

إن البشرية ، أيها السادة ! ما زالت ولا تزال هدفاً لعوامل التدمير والإفساد ، منها عوامل داخلية باطنية ، من الشهوانية ، والأنانية ، وعبادة النفس ، وحب اللذات ، ومن قصور النظر ومن الإنصراف إلى الدنيا والخضوع للمادة والقوة ، ولعوامل الشذوذ والإنحراف ، ومنها عوامل خارجية ، من فساد البيئة والمجتمع ، وسوء التعليم والتربية ، وإنحراف القوانين والنظم ، والإنسان يعيش فى الواقع ، لا يعيش فى الأحلام والأماني ، ولا يعيش فى الفلسفات والتصورات ، يسعى على قدميه ، ويتنفس فى الهواء ، فإن كان الهواء فاسداً تنفس الفاسد ، وإن

---
(١) سورة الروم آية ٤١ .
(٢) والقرآن مملوء بشواهده وأمثاله .

كان الهواء عفناً تنفس العفونة ، وإن كان الهواء صالحاً نقياً ، تنفس النقى الصالم ، فلا يستغرب أن ينتشر الفساد الخلقى والفساد الإجتماعى إنتشاراً عاماً إذا توفرت أسباب قاهرة لإفساد مجتمع خاص ، هذا وقع آلافاً من المرات ، وسيقع مراراً إذا كان فى الوقت متسع وللدنيا أجل ممدود .

ولكن المعول على وجود طبائع صالحة ، وضمائر حية ، وعقول نيرة ، وعقائد جازمة راسخة ، ودعوات قوية مؤثرة ، والعمدة على خلفاء الأنبياء عليهم السلام ، وعلى حملة الرسالة ومشاعل النور ، ليس من الغريب أن يمرض الإنسان ، وليس شيئاً مروعاً مؤيساً ، الغريب المروع المفزع هو فقدان الطبيب ، وهو الذى حذرت منه الديانات السماوية ، وحذرت منه الأنبياء — وسيد الرسل صلى الله عليه وعلى آله وسلم بصفة خاصة — وهو أن يفقد الأطباء ، ويفقد التألم النفسى بالفساد ، ويفقد من يواجهه وجهاً لوجه ، ويقف فى تياره كالسد المنيع والطود الشامخ الذى لا يتزلزل ، ينتشر الفساد ولا يجد مقاومة ، ينتشر الفساد ولا يجد تحدياً ، ينتشر الفساد ولا يجد منكراً أو مستنكراً ، هذا هو البلاء هذا الذى عرض الركب البشرى للنار أو الدمار ، والانتحار والإنهيار ، وساد الفساد على المجتمع الإنسانى كله ، وهو الذى يصوره القرآن بقوله المعجز البليغ ، ((**ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس**)) (١) .

فالشىء المثير للتأمل والقلق ، هو عدم وجود الأطباء الناصحين، المتألمين المستنكرين لهذه الأوضاع الفاسدة ، الذين لا يطيب لهم

---

(١) سورة الروم ٤١ .

طعام ولا شراب ولا نوم فى هذا الوضع ، ويتعكر عليهم صفو الحياة، فالشىء الأساسى الرئيسى هو وجود أولى بقية، عندهم اثارة من شعور ، وبقية من غيرة إنسانية ، ومن حياة الضمير ومن الوعى الصحيح الدينى ، بقية من التألم والإهتمام بمصير الإنسانية أو الإهتمام على الأقل بمصير المجتمع الذى يعيشون فيه ، وهؤلاء أولو بقية ما زالوا فى كل فترة حالكة ، يبرز وجههم فى فساد المجتمع ويقومون ، يتحدون الفساد ويصرخون به ، ويخاطرون بمستقبلهم فى سبيل الدعوة والإصلاح ، كما يقول القرآن عن سيدنا صالح عليه السلام « **قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفى شك مما تدعونا إليه مريب** » (١) ، فكثير من المرجويين الذين كان لهم الغد المضمون والمستقبل المشرق ، كانوا يخاطرون بمستقبلهم وبامكانياتهم، ويجازفون بحياتهم ويخاطرون بأهلهم ، ويتحدون الباطل ويقفون فى وجه الفساد ، ويقولون : لا نرضى بهذا الوضع أبداً ، قد كان هؤلاء أولى بقية فى بعض الأحيان أفراداً يعدون على الأصابع ، وقد كان هؤلاء جماعة أو أمة فى الزمن الذى عم فيه الفساد وتفاقم الشر ، بحيث خرج إصلاح الحال من دائرة إمكان أفراد ، مهما أوتوا من المواهب ، ومهما أوتوا من الذكاء ، ومن النفوذ على النفوس ، وإمتلاك ناصية البيان واللسان ، فقد كان الفساد أوسع وأعظم من أن يقف فى وجهه أفراد أفذاذ من الناس ، هنالك أرادت مشيئة الله تعالى أن تنهض أمة .

وهذه قصة القرن السادس المسيحى الزمن الذى سبق

---

(١) سورة هود آية ٦٢ .

الإسلام ، كان الفساد أوسع من أن يقوم له أفراد ، ولو كانــوا عماليق فى الفكر ، عماليق فى قوة الإرادة وفى الشجاعة وفى الإخلاص، ولكن لم يكن هذا يدخل فى نطاقهم ، هنالك أراد الله أن تقــوم أمة ، ولذلك قرن الله سبحانه وتعالى بعثة آخر الرسل ، وسيدهم وخاتمهم ببعثة أمة بأسرها ، كانت بعثته صلى الله عليه وآله وسلم بعثة فردية تتجلى فى شخص النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو النبى الذى ختم به الله تبارك وتعالى الرسالات والنبوات ، فلا نبى بعده ، قرن هذه البعثة ببعثة أمة ، لأن المهمة ضخمة جداً ، وهى الأمة الإسلامية ، والقرآن استخدم تعبيراً يدل على أن هذه الأمة التى رافقت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى غزواته ، وفى دعوته، وفى سلوكه ، وفى حمل رسالته ، هذه الأمة لم تكن أمة من الصدف، ولا كالحشائش الطفيلية التى تنبت فى الحقول غير مقصودة ، إنمـــا هو نبت إلهى ، نبت ربانى مقصود ، أراد الله أن تقوم هذه الأمة بأسرها كحاملة الرسالة ، فاستخدم لها القرآن تعبيراً يختلف عن تعبير الأمم السابقة ، قال : **« كنتم خـــير أمة أخرجت للناس »** (١) . هذا الشعور الذى كان يحمله الصحابة رضى الله عنهم حتى الذين لم يكونوا على مستوى رفيع جداً من الثقافة والتربية النبوية ، كأن هذا الشعور قد انتشر فى أفراد هذه الأمة على إختلاف مستوياتهم .

لمـــا كان الفساد مخيماً على العالم الإنسانى كله فى القرن السادس المسيحى ، وكان الظلام حالكاً قاتلا ليس قاتماً ، قاتلا للضمائر ، قاتلا للنفوس ، قاتلا للعقول ، كان إصلاح الأوضاع

---

(١) سورة آل عمران آية ١١٠ .

خارجاً من إمكان أفراد ، مهما بلغوا من قوة الإرادة ، ومهما بلغـوا من الذكاء ، وامتلاك الوسائل والأسباب ، هنالك بعث الله أمة بأسرها لتحارب هذا الفساد المنتشر حول هذه الأمة وحول هذه الجزيرة .

ولكن كيف كان ذلك ؟ إنما كان ذلك بصـفات إمتاز بهـا أفراد هذه الأمة فى الأمم ، منها قـوة الإيمان وعمقه فى نفوسـهم وتغلغله فى أحشائهم ، وكتب السـيرة والتاريخ طافحة بأمثلتـه ، فقد كان مدى إيمان الصحابة بمواعيد الله تعالى ، وبمواعيد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فوق ما يتصوره الإنسان ، ثم حسن الخلق وإستقامة السيرة ، ثم بساطة المعيشة والتقشف فى الحياة ، والبعد من البذخ والترف الـذين إبتلعا الأمـة الرومانية ، والأمة الفارسية ونخرتهما كما ينخر السوس العود ، الترف المدمر ، الفاتك بالكفايات ، الفاتك بالطبيعة البشرية .

والذى أخشاه على الأمة العربية ، والذى أخشاه على المجتمع العربى الإسلامى الكريم ، هو أن تكون مثالا أو تكون نموذجاً لتلك المدنية المصطنعة ، المدنية التى حادت بهم عن كل مكرمة وعن كل بطـولة .

لمـا أراد الله بالأمة العربية أن تكون « **أولى بقية ينهون عن الفساد فى الأرض** » أصطفاها الله تبارك وتعـالى وجعلها أمـة متقشفة ، قوية الخلق ، كريمة السيرة ، حية الضمير ، تحمل قلباً متألماً متوجعاً للإنسانية ، وخلق فى نفسها من الرحمة للبشرية مالا يبلغها قياس ، ترق نفوسهم للبشرية ، وتدمع عيونهم علي حاضر البشرية ومستقبلها ، وينسون أولادهم وأهلهم وأنفسهم فى سبيل

اخراج البشرية من هذا المستنقع المتعفن الذى كانت تتردى فيه، خلقهم من جديد ، كأنهم ولدوا فى الإسلام ولادة جديدة ، لايشبهون حياتهم الجاهلية فى شىء ، كأنهم نبتوا من الأرض أو نزلوا من السماء ، إنسان غير إنسان ، وبشر غير بشر ، يصف الصحابى الجليل سيدنا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه الصحابة رضى الله عنهم ، فيقول : أبر الناس قلوباً ، وأعمقهم علماً ، وأقلهم تكلفاً ، إختارهم الله لصحبة نبيه ، وإعزاز دينه » ولما إستفسر قيصر الروم — الإمبراطور هرقل — الفلول المنهزمة من الجيش الرومانى الداحر للفرس فى الأمس القريب وسأل قادتها لماذا تنهزمون كل يوم ومعكم الجيوش الجرارة التى دوخت إيران بالأمس ، ما السر فى ذلك ؟ لماذا تنحسرون بهذه السرعة ، من هم هؤلاء ؟ أهم من الجن ؟ أم من العفاريت ؟ والله صفهم لى ، فقال أحد قادة الرومان ، هل تسمح لى يا صاحب الجلالة بالوصف الصحيح ؟ قال نعم ، قال هم « فرسان بالنهار رهبان بالليل ، لا يأكلون فى ذمتهم إلا بثمن ، ولا يدخلون إلا بسلام ، يقفون على من حاربوا حتى يأتوا عليه ، فقال : لئن كنت صدقتنى ليملكن موضع قدمى هاتين » (١) .

فاختار الله الأمة العربية ، وأفاض عليها لباساً جديداً من السيرة البشرية ، ومن الأخلاق الإنسانية ، بفضل القرآن ، وبفضل التربية النبوية ، فكانت هذه الأمة شامة بين الأمم ، منارة نور فى بحر الظلمات . إذا كانوا أصحاب يسار وسعة فى الرزق كانوا متقشفين ، وإذا كانوا تجاراً كانوا أمناء صادقين ، وإذا كانوا حكاماً أو قضاة كانوا عادلين ، وإذا كانوا عملة أو خدماً كانوا ناصحين

---

(١) البداية والنهاية ج ٧ ص ١٥ .

مجتهدين ، وإذا كانوا رؤساء كانوا متسامحين راحمين ، وإذا كانوا فى الماضى لا يفكرون إلا فى نفوسهم وعيالهم ، أصبحوا يفكرون فى الإنسانية كلها ، وإذا كانوا فى الجاهلية ينامون الليل كالأموات ، أصبحوا يحيون لياليهم بالذكر والتلاوة ، وإذا كانوا يجمعون الأموال لأنفسهم سابقاً ، عادوا يبذلون الأموال لغيرهم ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، فما تمكن العرب من فتح العالم – كما يقول كبار مؤرخى أوربا أنهم فتحوا نصف العالم فى نصف قرن وهذه معجزة تاريخية – وما استطاعوا ذلك إلا بفضل سيرتهم الخاصة ونمط حياتهم والمزايا التى كانوا يمتازون بها ، والسمة التى كانوا يتسمون بها .

يا إخوانى ، يقول الله تبارك وتعالى : ولو كان كلام البشر لقلت يقول متحسراً متفجعاً ، ولكن جل الله عن ذلك ، جل عن التفجع والتوجع ، ولكن يجب علينا أن نقرأ هذه الآية متفجعين ومتوجعين ، وهذا دورنا فى التدبر فى القرآن ، القرآن نزل وحفظ ، وهو لا يختلف فى أى زمان ومكان ، ولكن يجب علينا أن نستشعر فى أعماق نفوسنا بالروح التى تسيطر على هذه الآية ، فنقرأ متفجعين متوجعين ، متحسرين متألمين ، قول الله تبارك وتعالى : **«فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد فى الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم ، واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين »** . تأملوا فى قوله تعالى : **« واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه »** هذا كان شأن الأمم فى كل زمان ، فقد إتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين . فقد تهالكوا على أدوات الترف والبذخ وتنافسوا فيها ، واقتبسوها وإستوردوها من الخارج

ومن الشعوب السابقة فيهـا ، المخترعة لهـا ، ليس لها خيار ولا ابتكار ، ولا وقوف عند حد واستقرار ...

إن ضمير النوع البشرى المعاصر أيها السادة ! يصرخ بأعلى صوته شاكياً بلسان الحال ، « لو لا كان من الأمة الإسلامية فى هذا الزمان أولـو بقيـة ينهـون عن الفساد » والله لو قام أحد على قمة جبل وتكلم على مذياع عالمى يسمعه كل واحد فى كل قطعة من الأرض ، قال : فلولا كان من الأمة الإسلامية العربية ، فلولا كان من الجزيرة العربية التى طلعت منها شمس الإسلام والتى أكرمها الله بالقرآن أكرمها الله بالإيمان ، أكرمها الله بالمواهب التى خصها بها ، فلولا كان فى الأمة الإسلامية العربية أولو بقية ينهون عن الفساد فى الأرض ، الفساد موجود ، ولكن الواقفين فى وجهه ، المتحدين له ، المحاربين له ، وعلى الأقل المستنكرين له ، غير موجودين ، الداء موجود ، والطبيب مفقود ، وكما يقول الشاعر :

ما يصلح الملح إذا الملح فسد ؟

فالمسلمون ملح الأرض إذا فقد الملح ملوحته ، من يعيـد إليه الملوحة ؟

إن القرآن لا يزال ينبهنا على هذه الآية ، ويجب علينا أن ننتبه ، وأن تقشعر جلودنا ، إن صوت الضمير الإنسانى المعاصر يقول : « فلولا كان فى الأمة الإسلامية ، هذه المنتشرة فى أرجاء الأرض ، هذه التى قد ملأت الآفـاق ، والتى تملك الحكـومات ، وتملك رؤوس الأموال ، وتملك خيرات الأرض ، وتملك الطاقة البشرية ،

وتملك وريد جسم الصناعة والحضارة ، لو لا كان من الأمــة الإسلامية العربية اولو بقية ينهون عن الفساد ؟ !

انا اومن بأزمة واحدة ، أزمة عدم وجود القدوة الحسنة ، القدوة الصالحة على مستوى الشعوب والأمم ، ليس على مستوى الأفراد ، الحمد لله عندنا أفراد ، ولكن مصير الأمم لا يتغير بالأفراد ، مصير الأمم يحتاج فى تحويله إلى مجهود جماعى ، وإذا بقى هــذا الفراغ طويلا فانه ليس خطراً على الأمم التى أمتحنت به والتى تمثله ، بل هى كارثة العالم كله ، فتنهار هذه المدنية ، وتنهار هذه النظم التى تقوم الآن ، ويطوى الله هذا البساط ، فلابد أن تنهض هذه الأمة ، لابد أن توطن نفسها على ملأ هذا الفراغ بقــدر الإمكــان .

ولكن ما قامت أيها السادة ! أمة بحركة إصــلاحية ، ثورية بناءة ، إلا حين كانت مدنيتها صالحة ، وحين كانت حياتها بسيطة ، حين كانت تتصف بشىء من البطولة ، وبشىء من روح المخاطرة والمحازفة ، وأما الأمم المترهلة ، الشعوب الرخية الناعمة ، الرخوة الرقيقة ، الشعوب التى قد أخلدت إلى الأرض ، وأخــلدت إلى الشهوات ، فإنها لا تستطيع أن تحدث إنقــلاباً ، هذا الذى أخافه على المجتمع الإسلامى بصفة عامة ، وعلى المجتمع العربى حين اخاطبه وجهاً لوجه بصفة خاصة ، علينا أن نفكر فى ذلك جدياً ، ونفكر مع الإنسانية ، ولا نفكر فى إطارنا المحدود ، المنزلى او المحلى ، أو البلدى ، أو الشعبى ، نفكر فى مصير البشرية كأنه مصيرنا ، ونربط مصيرنا بمصير البشرية ، وفى الحقيقة مصيرنا مربوط بمصير

البشرية ، لا يمكن أن تبقى أمة على حالها وعلى وضعها إذا كان العالم حوله يموج بفتن ، يموج باضطرابات ، يموج بصراع نفسى ، فلابد لنا أن نفكر فى مصير الإنسانية ، نؤمن بأن مصير الإنسانية مرتبط بمصيرنا ، ومصيرنا يرتبط بمصيرها ، الرسول عليه السلام ضرب مثلا بليغاً لذلك بسفينة ، ولم أجد مثلا أبلغ منه فى أدب الدعوة وفى كلام أثر عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

فقال عليه الصلاة والسلام :

« مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم إستهموا على سفينة ، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذى فى أسفلها إذا إستقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً » (١) .

نحن على سفينة البشرية ، والسفينة البشرية مضطربة مائجة ، فيجب علينا أن نفكر فى إيصالها إلى بر السلام ، وليس بر السلام إلا الإسلام الحقيقى الكامل ، البعيد عن النفاق ، البعيد عن كل ما كانت الجاهلية تتسم به ، الدافق بالحياة والقوة الحامل للرسالة والرحمة للإنسانية ، المالك للمثل العليا والنماذج الصالحة ، والقدوة الحسنة الفاضلة ، أفراداً ومجتمعات ، وشعوباً وبلاداً ، ونظماً وحكومات ، وبالله التوفيق .

---

(١)رواه البخارى

الإسلام والحضارة الإنسانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

سادتى وإخوانى ! يسعدنى أن أتحدث فى بلد إسلامى عربى عزيز كالكويت بدعوة من اللجنة الوطنية الكويتية للإحتفال بدخول القرن الخامس عشر الهجرى فى المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب عن « الإسلام والحضارة الإنسانية » ، وهو موضوع منير مثير ، وثيق الصلة بواقع الحياة وحاضر الإنسانية ومستقبلها ، ودور الأمة الإسلامية فى بناء الحضارة وتوجيهها ، وأن يكون ذلك حين ودعنا عاماً من التقويم الإسلامى واستقبلنا عاماً جديداً ، ونحن على أبواب استقبال عام جديد من التقويم الميلادى .

ولكن الموضوع كان أليق بعمل مجمعى منه بمجهود فردى ، فإن الموضوع بطبيعته عالمى إنسانى . يمتد على عدة مساحات واسعة مختلفة ، فالمساحة الزمانية تمتد من القرن الإسلامى الأول (أو القرن السادس الميلادى) إلى هذا القرن الذى نلتقى فيه ، والمساحة المكانية تمتد من أقصى العالم إلى اقصى العالم ، والمساحة المعنوية تمتد من مجال العقيدة إلى مجال الأخلاق

والسلوك ، ومن مجال الإجتماع والحياة المنزلية والفردية ، إلى مجال السياسة والتشريع والقانون ، وعلاقات الشعوب والأمم بعضها ببعض ، ومن مجال أنماط المدنية الراقية الرقيقة ، إلى مجال الفن المعماري والأدب والشعر ، والذوق الرفيع ، وكل مساحة من هذه المساحات مساحة واسعة ذات جوانب عديدة فسيحة ، فلا يفى بحق هذا الموضوع إلا مجمع علمى مكون من أساتذة بارعين أصحاب الإختصاص فى موضوعهم الذى له إتصال وثيق بهذا الموضوع ، فالموضوع ينوء بالعصبة أولى القوة فى العلم والدراسة ، والأمينة النزيهة فى الحكم على الأشياء ، الجريئة فى إبداء الرأى والنتائج العلمية ، فيقوم أحد الأساتذة بجانب العقيدة والتفكير الدينى ، ويقوم آخر بجانب الإجتماع ، والثالث بجانب التشريع والقانون ، والرابع بمبدأ الحرية والمساواة ، والخامس بحقوق المرأة ومنزلتها فى المجتمع ، وهكذا ، وهو أجدر بموسوعة خاصة بهذا الموضوع فضلا عن كتاب ، فضلا عن بحث يعد فى وقت قصير وعلى تشتت بال وتزاحم أشغال ، ولكن كما قال الأولون : « ما لا يدرك كله لا يترك كله » ، ولا أبلغ من قول الله تعالى : « **فان لم يصبها وابل فطل** » وها هو ذا جهد المقل وسعى المقصر، وإلمام بهذا الموضوع الجليل الذى ليس فى صالح المسلمين والعرب فحسب ، بل هو فى صالح العهد التاريخى الذى نعيش فيه ، والمجتمع البشرى ، الذى نحن من أعضائه .

أيها السادة ! إن من أصعب العمليات وأدقها هو تحليل الحضارة التى إختمرت تحليلا كيمياوياً ، وفرز العناصر التى دخلت فيها فى عهود مختلفة وفترات تاريخية معينة ، وإرجاعها إلى أصلها

ومصدرها ، وتحديد مقاديرها ومداها من التأثير والقبول . وتبيين من يرجع إليه الفضل فى هذا العطاء الحضارى والتغيير الجذرى ، فقد دخلت هذه العناصر والتأثيرات فى الهيكل الحضارى والمجتمع البشرى وتغلغلت فى أحشاءهما وجرت منهما مجرى الروح والدم ، وتفاعلت . وتكون منهما مزاج خاص لهذه الحضارة ، شأن عوامل التكوين والتربية والبيئة والأغذية فى حياة الفرد ، وتكوين شخصيته الخاصة ، وإلى الآن لم يخترع معمل كيمياوى يباشر عمل التحليل التاريخى ، ولا مجهر « الميكروسكوب » (Microscope) يضخم هذه الأجزاء الدقيقة التى لعبت دورها فى تكوين الحضارة تكويناً خاصاً ، إذاً لابد من دراسة عميقة واسعة لتاريخ الشعوب والأمم والبلاد والمجتمعات ، حتى نستطيع أن نقارن بين ماضيها وحاضرها ، ونهتدى إلى عمل الدعوة الإسلامية والبعثة المحمدية فى تغيير العقيدة وإصلاحها والقضاء على آثار الجاهلية والفلسفات الوثنية ، والتقاليد الموروثة ، وتحويل التيار الفكرى من جهة إلى جهة ، والتغيير الثورى فى القيم والمثل ، وتناول المدنيات بالتهذيب والتحسين ، وذلك يحتاج إلى دراسات مضنية وإجهاد نفسى وعقلى ، ولكنه عمل مفيد إذا لم توفق له مؤسسة علمية كيونسكو (Unesco) أو مجمع فى أوربا وأمريكا بطبيعة الحال فلابد أن يخصص له مجمع علمى فى إحدى عواصم الشرق الإسلامى ، أو جامعة من الجامعات الإسلامية ، ولا شك أنه أنفع وأجدى من كثير من الأعمال العلمية التى تضطلع بها هذه المجامع والجامعات وتجند لها طاقاتها ووسائلها .

إن تحديد مجالات التأثير الإسلامى فى الحضارة الإنسانية

صعب وغير عملى تقريباً ،لان هذا التأثير قداختلط بجهاز الحضارة، اختلاط الدم باللحم ، وعادت هذه الشعوب والأمم لا تشعر بهذه التأثيرات ولا يخطر ببالها فى حين من الأحيان أنها عناصر دخيلة أجنبية ، فقد اصبحت جزءاً من اجزاءها وتفكيرها ومدنيتها ، وحياتها ، وهنا أستعير ما سبق ان قلته فى كتابى : « ماذ خسر العالم بإنحطاط المسلمين » وأنا أتحدث عن المدنية الإسلامية وتأثيرها فى الاتجاه البشرى :

« صارت طباع الناس وعقولهم تتغير وتتأثر بالإسلام من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون ، كما تتأثر طبيعة الإنسان والنبات فى فصل الربيع ، وبدات القلوب العاصية الجافة ترق وتخشع ، وبدأت مبادىء الإسلام وحقائقه تتسرب إلى أعماق النفوس وتتغلغل فى الأحشاء ، وبدات قيمة الأشياء تتغير فى عيون الناس ، والموازين القديمة تتحول وتخلفها الموازين الجديدة ، وأصبحت الجاهلية حركة رجعية ،كان من الجمود والغباوة المحافظة عليها ، وصار الإسلام شيئاً راقياً عصرياً ،كان من الظرف والكياسة الانتساب إليه ، والظهور بمظاهره ، وكانت الأمم بل كانت الأرض تدنو رويداً رويداً إلى الإسلام ولايشعر اهلها بسيرهمكما لايشعر أهل أهل الكرة الأرضية بدورانهم حول الشمس ، يظهر ذلك فى فلسفتهم وفى دينهم وفى مدنيتهم ، وتشف عن ذلك بواطنهم وضمائرهم ، وتنم عنه الحركات الإصلاحية التى ظهرت فيهم حتى بعد إنحطاط المسلمين (١) » .

---

(١) ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين ، الطبعة الثالثة عشرة ، ص ١٣٧ .

ولكن إذا كان لابد من تحديد جوانب ومجالات فى حياة الأمم والشعوب والحضارة ، ظهرت فيها التأثيرات الإسلامية فى أجلى أشكالها ، نحددها فى عشرة من المعطيات الهامة والمنح الأساسية الغالية التى كان لها الدور الأكبر فى توجيه النوع البشرى وإصلاحه وإرشاده ، ونهضته وإزدهاره ، والتى خلقت عالماً مشرقاً جديداً لا يشبه العالم الشاحب القديم فى شىء وهى كما يلى:

١ — عقيدة التوحيد النقية الواضحة .

٢ — مبدأ الوحدة الإنسانية والمساواة البشرية .

٣ — إعلان كرامة الإنسان وسموه ،ورد الإعتبار إلى المرأة، ومنحها حقوقها وحظوظها .

٤ — محاربة اليأس والتشاؤم وإزالة إساءة الظن بالفطرة البشرية وآعتبار الإنسان مذنباً بالولادة يحتاج إلى « فداء » خارجى، (كما فعلت المسيحية) ، وبعث الأمل والرجاء والثقة والإعتزاز فى نفس الإنسان .

٥ — الجمع بين الدين والدنيا ، وتوحيد الصفوف المتنافرة، والمعسكرات المتحاربة .

٦ — تعيين الأهداف وميادين العمل والكفاح للسعادة فى الدنيا والنجاة فى الآخرة .

٧ — إيجاد الرباط المقدس الدائم بين الدين والعلم ، وربط مصير أحدهما بالآخر وتفخيم شأن العلم والحث عليه وإيجاد حركة علمية وتأليفية لا يوجد مثيلها فى تاريخ الأمم والملل والمدنيات التى قامت على أساس الدين والرسالات السماوية .

٨ ــ إستخدام العقل والإنتفاع به حتى فى القضايا الدينية والحث على النظر فى الأنفس والآفاق والتفكير فى خلق السماوات والأرض ، والإهتداء به إلى الحقيقــة الكبرى ، « **ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا** » .

٩ ــ العثور على الوحـــدة فى الوحـــدات الكونية المبعثرة والوحدات العلمية المنتشرة ، والتى تبدو أحيانا متناقضة متناحرة، وهى وحدة الإرادة الالهية فى الوحدات الكونية ، ووحدة المعرفة الالهية والدلالة على فاطر الكون فى الوحدات العلمية ، وهـــو الإكتشاف الهائل الذى غير مصير الإنسانية ومجرى فكر البشرية .

١٠ ــ حمل الأمة الإسلامية على قبول مسئولية الوصاية على العالم والحسبة على الأخلاق والإتجاهات وسلوك الأفراد والأمم، وتحمل مسئولية القيام بالقسط ، والشهادة لله ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإعتبار نفسها أمة قرنت بعثة نبيها ببعثتها لقول الله تعالى : « **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** » وقول نبيهـــا : « إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين » .

وتدخل تحت كل عنوان قصة طويلة ، واستعراض تفصيلى للحضارات والعصور الجاهلية التى ســـبقت البعثة المحمـــدية ، والإنسان الذى ولد بعد البعثة ، استعراضاً دقيقاً أميناً ، وكل عنوان من هذه العناوين موضوع كتاب مستقل قد يمتد على مئـــات

من الصفحات (١) ، ونكتفى هنا ببعض شهادات المنصفين من علماء الشرق والغرب :

يقول (Robert Briffault) فى كتابه (The Making of Humanity)

« ما من ناحية من نواحى تقدم أوربا إلا وللحضارة الإسلامية فيها فضل كبير وآثار حاسمة لها تأثير كبير (٢) » .

ويقول : « لم تكن العلوم الطبيعية (التى يرجع فيها الفضل إلى العرب) هى التى أعادت أوربا إلى الحياة ، ولكن الحضارة الإسلامية قد أثرت فى حياة أوربا تأثيرات كثيرة ومتنوعة منذ أرسلت أشعتها الأولى إلى أوربا » (٣) .

ويقول جوليفه كستلو فى كتابه « قانون التاريخ »
La Lo Hde L. Histoire : (Jotivet Castelot)

كان التقدم العربى بعد وفاة الرسول عظيما ، جرى على أسرع ما يكون ، وكان الزمان مستعدا لانتشار الإسلام ، فنشأت المدنية الإسلامية نشأة باهرة ، قامت فى كل مكان مع الفتوحات بذكاء غريب ، ظهر أثره فى الفنون والآداب والشعر والعلوم ، وقبض العرب بأيديهم خلال عدة قرون ، على مشعل النور العقلى،

---

(١) قد تحدثنا عن السبعة الأولى من هذه العناوين فى شىء من التفصيل فى كتابنا « السيرة النبوية » فى فضل البعثة المحمدية على الإنسانية والمنح العالمية الخالدة ، ص ٣٨٧ — ٤١٨ .

(٢) أيضاً ص ١٩٠ .

(٣) أيضاً ص ٢٠٢ .

وتمثلوا جميع المعارف البشرية التى لها مساس بالفلسفة ، والفلك، والكيمياء ، والطب والعلوم الروحية ، فأصبحوا سادة الفكر ، مبدعين ومخترعين ، لا بالمعنى المعروف ، بل بما أحرزوا من أساليب العلم التى استخدموها بقريحة وقادة للغاية ، وكانت المدنية العربية قصيرة العمر إلا أنها باهرة الأثر ، وليس لنا إلا إبداء الأسف على إضمحلالها » .

ويتقدم ويقول :

« ولئن كان سادة البلاد أصحاب أثرة ، فان العمل الذى تم حولهم كان أسمى منهم ، ومنه نشأت مدينة مدهشة ، وإن أوربا لمدينة للحضارة العربية بما كتب لها من ارتقاء ، من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر ، وعنها أخذت الفكرة الفلسفية العلمية التى سرت إليها سرياناً بطيئاً ناقصاً فى القرون الوسطى، وإن أوربا لتتجلى لنا منحطة جاهلة أمام المدنية العربية ، وأمام العلم العربى والآداب والفنون العربية ، أوربا تدين بالهواء النافع الذى تمتعت به تلك العصور للأفكار العربية ، وقد إنقضت أربعة قرون ولا حضارة فيها غير الحضارة العربية وعلماؤها هم حملة لوائها الخفاق » (١) .

ويقول لبون (Gustave Lebon) :

« ينسب الناس إلى باكون (Francis Bacon) قاعدة التجربة والملاحظة ، المنطق الإستقرائى (Inductive Logic)

---

(١) الإسلام والحضارة العربية ، للأستاذ محمد كرد على ، ج ٢ ص ٥٤٣ — ٥٤٤ .

وهما الأصل فى أساس البحث العلمى الحديث ، بيد أن الواجب أن يعترف اليوم أن هذه الطريقة كلها هى من مبتدعات العرب .

واسمحوا لى أيها السادة ! أن أنقل هنا بعض شهادات ذات قيمة لما كان للدعوة الإسلامية والفتح الإسلامى من تأثير ثورى فى القارة الهندية التى كانت مهد الحضارة والفلسفة والعلوم الرياضية فى عهد من العهود ، ثم أمعنت فى الوثنية والمثالوجية الهندية والنظام الطبقى الجائر والتزمت ، فكان تأثير الإسلام فى هذا الجزء من العالم الشديد التمسك بما عنده من عقائد ونظم وتقاليد دليلا على قوة تأثير الإسلام والحيوية الكامنة فى ضميره .

يقول الباحث الهندى المعروف (K. M. Panikkar) وهو يتحدث عن تأثير عقيدة التوحيد الإسلامية فى عقلية الشعب الهندى ، ودياناته :

« من الواضح المقرر أن تأثير الإسلام فى الديانة الهندوكية كان عميقاً فى هذا العهد (الإسلامى) إن فكرة عبادة الله فى الهنادك ، مدينة للإسلام ، إن قادة الفكرة والدين فى هذا العصر ، وإن سموا آلهتهم بأسماء شتى ، قد دعوا إلى عبادة الله ، وصرحوا بأن الإله واحد ، وهو يستحق العبادة ، ومنه تطلب النجاة والسعادة ، وقد ظهر هذا التأثير فى الديانات والدعوات التى ظهرت فى الهند فى العهد الإسلامى كديانة (Bhagti) ، ودعوة « كبير داس (١) » (٢) .

---

(١) شاعر متصوف ينتقد المجتمع الهندى إلى الإصلاح إختلف الناس فى ديانته .

(٢) A Survey of Indian History, P. 132 .

ويقول جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند سابقاً :

« إن دخول الغزاة الذين جاؤا من شمال غرب الهند ودخول الإسلام له أهمية كبيرة فى تاريخ الهند ، إنه قد فضح الفساد الذى كان قد انتشر فى المجتمع الهندوكى ، إنه قد أظهر إنقسام الطبقات واللمس المنبوذ وحب الإعتزال عن العالم الذى كانت تعيش فيه الهند ، إن نظرية الأخوة الإسلامية والمساواة التى كان المسلمون يؤمنون بها ويعيشون فيها ، أثرت فى أذهان الهندوس تأثيراً عميقاً، وكان أكثر خضوعاً لهذا التأثير البؤساء الذين حرم عليهم المجتمع الهندى المساواة والتمتع بالحقوق الإنسانية » (١) .

ويقول اين ، سى ، مهتا (N.C. mehta I.C.S.) فى كتابه (Indian Civilization and Islam) (الحضارة الهندية والإسلام) :

« إن الإسلام قد حمل إلى الهند مشعلا من نور قد انجلت به الظلمات التى كانت تغشى الحياة الإنسانية فى عصر مالت فيه المدنيات القديمة إلى الإنحطاط والتدلى . وأصبحت الغايات الفاضلة معتقدات فكرية ، لقد كانت فتوح الإسلام فى عالم الأفكار أوسع وأعظم منها فى حقل السياسة ، شأنه فى الأقطار الأخرى لقد كان من سوء الحظ أن ظل تاريخ الإسلام فى هذا القطر مرتبطاً بالحكومة فبقيت حقيقة الإسلام فى حجاب ، وبقيت هباته وأياديه الجميلة مختفية عن الأنظار » .

---

(١) Discovery Of India - P. 335 - 526.

وهنا نقتطف قطعة فى كتابنا « السيرة النبوية » :

« الحقيقة التى لا مراء فيها أن هذا الدور الذى نعيشه ، وما يليه من الأدوار التاريخية القادمة ، كلها فى حساب البعثة المحمدية ، ودعوته العامة الخالدة ، وجهوده المشكورة المثمرة ، لأنه رفع — أولا — هذا السيف المصلت على رقاب الإنسانية الذى كاد يقضى عليه ، ثم أغناها بمنح غالية ومعطيات خالدة ، وهدايا طريفة جديدة ، بعث فيها الحيوية والنشاط ، والهمة والطموح والعزة والكرامة ، والهدف الصحيح ، والغاية النبيلة ، واستهل — بفضل هذه المنح والمعطيات — عهد جديد من السمو الإنسانى ، والثقافة والمدنية ، والربانية والإخلاص ، وإنشاء الإنسان وتكوينه الخلقى والإجتماعى » (١) .

أيها السادة ! بعد ما شرحناه من عطاء الإسلام الحضارى وما أتحف به الحضارة الإنسانية من منح ومواهب ، وما حققه من نجاح وإنتصار فى إنقاذ الحضارة البشرية من الإنهيار والإنتحار ، ومكنها من التقدم والإزدهار ، لابد من تقرير حقيقة تاريخية خالدة، وهو أن عمل التأثير فى الحضارة الإنسانية وإستعراضها بعد آونة وأخرى من جديد ، وتطعيمها بالقديم الصالح والجديد النافع ، والحيلولة بينها وبين عناصر التدمير والإبادة والإتجاهات المفسدة الهدامة يجب أن يدوم ويستمر .

وذلك لسببين ، السبب الأول أن الأمم خاضعة لعوامل جديدة من الإصلاح والإفساد ، والحياة متحركة متطورة لا تعرف الوقوف

---

(١) السيرة النبوية ، ص ٣٩٩ — ٤٠٠ ، الطبعة الثانية .

والركود ، فلابد من مراقبتها حيناً بعد حين وسد حاجاتها المتجددة، وقد جدت دعوات وفلسفات مفسدة هدامة فى العهد الأخير الذى إنسحبت فيه الأمة الإسلامية مع الأسف ، من ميدان قيادة البشرية وانطوت على نفسها .

والسبب الثانى أن الأمة الإسلامية هى أمة الرسالة الأخيرة وأمة الخلود ، وأمل البشرية ، فلابد أن تظل حاملة لرسالتها ، قائمة بدورها فى قيادة الركب البشرى والوصاية على العالم ، والحسبة على العقائد والأخلاق وعلاقة الإنسان بالإنسان ، والأمة بالأمة، والأمم لا تعيش بالتاريخ ولا بما مثلته من دور فى الزمن الماضى ، وما حققته من نجاح وإنتصار فى عهد سابق ، إنما تعيش الأمم بالجهاد المتواصل ، والنشاط الدائم ، والشعور بالمسئولية المستمر ، والمخاطرة بالنفس والنفيس فى كل زمان ، والجدة والابتكار . وانتاج المفيد الجديد ، والصالح المزيد ، فاذا انطوت على نفسها ، وتنازلت عن منصبها ، طويت من سجل التاريخ وتناساها الزمان ، فيجب أن تنهض الأمة الإسلامية من جديد بمسئوليتها الدعوية الحضارية . التوجيهية القيادية ، مرة ثانية.

وحقيقة علمية تاريخية أخرى ، وهى أن الأمة الإسلامية لا تستطيع أن تقوم بدور التأثير فى الحضارة الإنسانية وتوجيهها ، إذا كانت متطفلة على مائدة الحضارات الأجنبية ، تغرف من بحرها وتغوص فى موجتها إلى الآذان ، إنها لا تستطيع أن تسترعى انتباهاً فضلا أن تحمل الشعوب الأخرى على تقليدها ، إلا إذا كانت مؤمنة عميقة الإيمان بأن حضارتها مستقلة ذات شخصية خاصة ، ربانية

سماوية ، صالحة لكل زمان ومكان ، قائمة على أسس متينة ، مستفادة من الكتاب والسنة ، منبثقة من الهدايات الربانية والتعاليم النبوية ، للطهارة والعفة فيها تصور خاص فليست الطهارة فيها مرادفة لكلمة « النظافة » وليست العفة فيها يكفى فيها الابتعاد عن الجنايات الخلقية فحسب ، بل هى أوسع معنى وأكثر شمولا واحتواء ، وأن حياتها لا تنسجم مع الحضارة الغربية التى نشأت واختمرت تحت ضغط عوامل تاريخية خاصة ، وفى بيئة كانت تتحكم فيها المادية ويسود عليها — فى فترات كثيرة وطويلة — العداء للدين ، والثورة على الأخلاق والقيم ، وكما يقول أحد خبراء هذه الحضارة وتاريخها (الدكتور العلامة محمد إقبال) بإيجاز : «إن روح هذه المدنية (الغربية) ما عادت عفيفة طاهرة » (١) .

وأعتقد أنه من الميسور جداً الجمع بين التسهيلات المدنية والإستفادة بالآلات والمخترعات ، وما وصل إليه العلم الحديث ، وبين ما تمتاز به الحضارة الإسلامية من جمال وبساطة وجدية وعناية بالطهارة والنظافة والإبتعاد عن الإسراف والتبذير ، والإغراق فى المظاهر الخارجية ، إذا وفقت الحكومات والمجتمعات الإسلامية للتخطيط المدنى المستقل ، البعيد عن التقليد الأعمى ، والإرتجالية ومركب النقص ، وإذا توفر عندها الذكاء ، والأصالة والإيمان ، بفضل التعاليم الإسلامية والحضارة الاسلامية التى تنبثق عنها وتقوم عليها ، والإعتداد بشخصيتها .

---

(١) ليراجع للتفصيل فصل « أهمية الحضارة الإسلامية والحاجة إليها » فى كتابنا « العقيدة والعبادة والسلوك » ص ١٩٨ — ١٩٩ .

وفى الأخير حيث أنا واقف فى بلد إسلامى عربى أخاطب سادتى وإخوانى العرب ، أختم هذا الحديث بقطعة من قصيدة خاطب بها شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال الأمة العربية ، لتعرف مكانتها فى العالم ودورها من بين أدوار الشعوب والأمم(1).

« إن نفس ذلك الأمى (2) الريان ، نقل صحراء العرب القاحلة إلى روح وريحان ، إن الحرية نشأت فى أحضانه وإن حاضر الشعوب ليس إلا وليد أمسه ، إن الجسد البشرى كان بلا قلب وروح ، فأعطاه القلب والروح ، وكشف اللثام عن جمال وجهه ، أنه حطم كل صنم قديم ، وأفاض الحياة على كل غصن ذاو من أغصان العلوم والمدنية ، وأنجب أبطالا وقادة مؤمنين ، أقاموا المعارك الفاصلة بين الحق والباطل ، فتارة يدوى الأذان فى ساحة الحرب ، وتارة تتحلى الآذان بقراءة « الصفات (3) » بين صليل السيوف وصهيل الخيول ، إن سيف البطل المغوار كصلاح الدين الأيوبى ، ونظرة الزاهد الأواب كأبى يزيد البسطامى، مفتاحان لكنوز الدنيا والآخرة » .

---

(1) تقرأ القصيدة بكاملها فى كتابنا « روائع إقبال » ص ١١٢ — ١١٣ .

(2) يعنى بذلك النبى الأمى محمداً رسول الله ﷺ .

(3) يشير إلى سورة « الصافات » فى القرآن الكريم .

بعد الحمد والصلاة !

واقع العالم الإسلامى

سادتى وإخوانى ، إنى أتحدث إليكم فى هذا اللقاء الكريم ن « واقع العالم الإسلامى » اليوم ، وفى الحقيقة أتحدث إليكم عن واقعنا جميعاً ، فهى مسئولية مشتركة وأمانة جماعية ، وكنت أتمنى أن أتحدث عن واقع مشرق جميل زاهر ، يسر المؤمنين ويسر أصحاب الواقع ، ويسر المتحدث ، وإننى بدورى أستطيع أن أصور العالم الإسلامى تصويراً رائعاً جميلا ، فإن اللسان يستطيع أن يعطى واقعاً حالكاً كئيباً صورة جميلة مشرقة ، والقلم أقدر من اللسان على ذلك ، ولكن سيكون واقعاً خيالياً أسطورياً لا صلة له بالحقيقة والواقع ، فسأكون أميناً وصريحاً فى تصوير هذا الواقع ، وإن لم أسر المستمعين الكرام ، ولم أدخل على نفسى السرور ، فالرائد لا يكذب أهله .

إخوانى ! التناقض فى حياة فرد عادى ، لغزة تحتاج إلى حل وفك وإلى ذكاء،فكيف إذا كان التناقض فى مجتمع كبير،وكيف إذا كان فى عالم واسع الأرجاء ، كبير الأهمية ، مجيد التاريخ ، والتناقض الغريب الذى أريد أن أتحدث عنه فى هذه الأمسية ، وهو أن العالم الإسلامى لم يكن فى زمن من الأزمان أكثر حكومات ، وأوسع مساحة جغرافية وأعظم أهمية سياسية ، وأغنى فى الطاقات والإمكانيات ، وأملك للوريد فى الجسم الصناعى ، لم يكن العالم الإسلامى — فى حد دراستى — وقد درست تاريخ الإسلام سياسياً وفكرياً ، وعلمياً ، وروحياً ، فى إطار واسع ، وأستطيع

أن أقول فى ضوء دراساتى ، إننى ما وجدت العالم الإسلامى فى هذا التاريخ الضخم الكبير الحجم ، الواسع مساحة زمنية ،

لم أجد العالم الإسلامى فى فترة من فترات التاريخ أغنى وأقوى ، وأوسع منه فى هذا الزمان ، ولكنى أقول لكم ، والحزن يملأ قلبى، والخجل يعتقل لسانى ، إن العالم الإسلامى مع هذا الحول والطول ومع هذا العدد الكبير من الحكومات ، لم يكن أهون ، ولا أذل ، ولا أضعف ، ولا أخف فى الميزان السياسى الدولى منه فى هذا الزمان ، وهذا تناقض تحار فيه الألباب .

إن العالم الإسلامى فى الحقيقة كان قد ضعف فى روحه المعنوية وفى شخصيته ومميزاته من زمان ، ولكن كان له إسم كبير ، وكانت له مهابة وسطوة ، كانت هنالك الدولة العثمانية ، — على علاتها ومحنها — كالسور المنيع للشرق العربى ، لا يجترىء كثير من الحكومات والشعوب الحاقدة ، أن تتسور هذا السور ، ويهين المقدسات الإسلامية والبلاد التى كانت تحت حماية الدولة العثمانية ، وقد كان شرف العالم الإسلامى وكرامته منوطة بفذ الجزء المقدس الحبيب إلى المسلمين فى العالم ، وكان للدولة العثمانية الإسم الكبير ، الحافل بالأمجاد والبطولات ، فكان يصرف الناس عن الإمتحان لقوته الحقيقية ، وكان هنالك « نظار » (١) أو مجدار (٢) على التعبير العربى القديم ، وهو العود الذى ينصبه الفلاح فى مزرعته ، ويلقى عليه شيئاً من الثياب ، فيتصور الغربان

---

(١) النظار الخيال المنصوب بين الزرع ، والناطور حافظ الكرم أو الزرع ، والكلمة سريانية .

(٢) ما ينصب فى الزرع لطرد الطير والوحش ، ويقال له الفزاعة أيضاً .

والطيور أن هنالك إنسان واقفاً ، فلا تتجاسر أن تقع فى هـذه المزرعة وتسبب فيه ضرراً ، فإذا سقط هذا النظار أو المجدار بريح عاصفة مثلا ، أو عاثت فيه بعض الحيوانات الجريئة فأسقطته ، هنالك يعرف الطيور أنه ليس هنالك ما يخاف فتساقط عليها وتتلفها ، فكانت الدولة العثمانية ، وكان الإسم الكبير الذى تحمله ، وكانت الإنطباعات التى كان يحملها الدارسون للتاريخ الإسلامى ، والتصور الكبير الضخم الذى كان أكثر من الحقيقة يمنع كثيراً من الشعوب التى كانت أقوى من الدولة العثمانية ، وكان فى إمكانها أن تسيطر على بعض الممتلكات العثمانية ، ومحمياتها بسهولة من أن تجرب الوقوع فى هذه الحمى ، فلما سقط هذا النظار أو المجدار ، أصبحت المزرعة مالا سائباً ونهبة لكل ناهب ، وأصبحت الحمى مفتوحة لا حارس لها .

هذا مثل للعالم الإسلامى إذا قسنا العالم الإسلامى بمقياس الروح الإسلامية ، وبمقياس القوة الإيمانية ، والقوة الحربية الحقيقية ، فقد كان قد تخلف فيها تخلفاً كبيراً منذ أمد بعيد ، ولكن كانت له رهبة ، وسطوة .

إن الحقيقة العالمية الخالدة أيها السادة ! أن الفرد لا يحترم إلا إذا كان يخشى ويرجى ، والجماعة لا تحترم إلا إذا كانت تخشى وترجى ، وتنفع وتضر ، وكذلك الحكومات والمجتمعات ، لا يحسب لها حساب إلا إذا كانت تخشى ، وترجى ، وتنفع وتضر ، تستطيع أن تضر ولو لم تفعل ذلك ـــ بإرادة وقصد ـــ مدة طويلة ، ولكن يجب أن يعرف الناس أنها تملك قوة النفع والضرر وإن لم تستعملها ، إن الفرد ولو كان حقيراً تافهاً كالنملة قد تخشى ، لأنها تستطيع أن تقرص ، والعقرب تخشى لأنها تستطيع أن تلسع ، والحية

تخشى لأنها تستطيع أن تلدغ ، والكلب يخشى لأنه يستطيع أن يعض ،ولو حيل بينه وبين ذلك سنين وأعواماً ، وكان كلباً مدللا أليفاً ، فلابد من التوازن الصحيح وهو وجود صلاحية النفع ، ووجود صلاحية الضرر فى وقت واحد .

فكان لابد أن يملك المسلمون بصفة أمة ، ويملك الفرد المسلم بصفة فرد ، القدرة على النفع والضرر ، وإن لم يضر كما قلت لشرفه ، ولسماحته ، وإنسانيته الرفيعة ، وسمو رسالته ، ولو لم يأت منه الضرر والأذى قروناً عديدة ، لا بأس ، ولكن ليعرف الزمان أنه بمكان يرهب فيه ، ويخشى بأسه ، يقول الله تبارك وتعالى وهو رب العالمين ، وأحكم الحاكمين « **وأعدوا لهم ما أستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم** » (١) .

فأصبح المسلمون فى الزمن الأخير ، يرجون ولا يخشون ، وينفعون ولا يضرون ، وهذا وإن كان موقفاً شريفاً فى علم الأخلاق والنفس ، وفى العلم النظرى والفلسفات النظرية الخيالية ، وإن كان يدل على شرف الرجل وعلم فضله ، وعلى نبله ، وعلى تمسكه بالمبادىء السامية ، ولكن الفطرة البشرية منذ أن فطرها الله تعالى تعودت أن تخضع للقوة ولما عند الفرد أو الجماعة من قدرة الاضرار والدفاع عن نفسه وأخذ الثأر لها ، يقول الدكتور العلامة محمد إقبال :

---

(١) سورة الأنفال : آية ٦٠ .

« إن الوردة الجميلة لا سلامة لها ولا صـــيانة ، إذا كان الشوك الذى خلق ليحوطها ويصونها من الأيدى العاتية قد انحرف عن فطرته وأصبح حريراً ناعماً إذن فلا بقاء للوردة ولا حرمة لها، واسمحوا لى أن أنشد البيتين باللغة الأردية ، لأنى أرى هنا عدداً من إخواننا الباكستانيين والهنديين ليتذوقوا الأبيات فى لغتها ، يقول إقبـــال :

تميز خار وكل س آشـــكارا نسيم صبح كى روشن ضميرى
حفاظت بهول كى ممكن نهين هى أكركانى مين هو خوى حريرى

يقول : إن نسيم الصباح يعرف طبائع الأشـــياء ، فيربى الوردة على طبيعته الخاصة وهى النعومة ، والرقة ، وينشىء الشوك على طبيعة أخرى منافية وهى الشدة والعنف ، وهذا يدل على فراسة النسيم العليل البليل الذى يهب صباحاً ، يدل على وفائه بالرسالة التى نيطت بها ووضع الشىء فى محله ، فإذا أصبح الشوك الذى يحيط ويصون الوردة الناعمة ، الوادعة البريئة ، حريراً ناعما ، فلا بقاء للوردة ولا سلامة لها ، فكذلك لابد للعالم الإسلامى الشريف النبيل صاحب الرسالة الســـامية ، والمبادىء السماوية ، والتعاليم الربانية ، حامل الرحمة الإنسانية ، وصاحب قلب خفاق ، يذوب للإنسانية الضعيفة ويسيل رقة ورحمة ، كان واجباً أن يكون هذا العالم الإسلامى يملك ما يرهب وما يخشى ، يملك السياج المنيع ، والسور العالى ، والجند الجاهز ، ولكن أصبح العـــالم الإســـلامى اليوم ترجوه كل المعســـكرات الآن ، المعسكرات على تناقضها فى المبادىء ، وعلى ما بينهما من منافسة

ومحاربة ، تلتقى على الانتفــاع بالعالم الإســلامى وحلب درته وإمتصاص دمه ، كلها تنظر إلى العالم الإسلامى كمادة ثرية ، ولكن ليس معسكر من المعسكرات الآن ، وليست حكومة من الحكومات الكبيرة التى تتحكم الآن فى مصائر الأمم ، وفى المسيرة الإنسانية ، تخشى العالم الإسلامى فتحترمه ، أنما نســمع كلمات الإعتراف لبعض الحكومات الإسلامية والعربية ، وكلمات الإحترام فى أحيان أخرى ، ولكنها كلها سياسة ونفاق ، ليس فى قلب أحد من هؤلاء الساسة ، والقادة من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ، خوف من العالم الإسلامى فى الحقيقة .

ثم زاد الطين بلة ، هو أنه قد عرف العالم الغربى أن هذه الحكومات التى كان يمكن أن تخشاها مشغولة بشعوبها ، مشغولة بالصحوة الدينية التى ظهرت فى هذه البلاد ، إنها فى شغل شاغل ، إن همها الوحيد أن تقضى على البقية الباقية من الجمرة الإيمانية فى هذه الشعوب ، فهى لا تجد فرصة ، ولا تجد مجالا لأن تبرز فى الميدان الحقيقى وتتحدىالقوة الأجنبية المحاربة للإسلام، كالصهيونية أو الصليبية الحاقدة ، أو أن تنهض للانتصار لقضية إسلامية من قضايا الشعوب الإسلامية المضطهدة .

ومن المؤسف أن قادة البلاد الأجنبية يعرفون هذه الحقيقة وهذا الوضع ، أحسن ، وأكثر مما يعرفه كثــير من إخــواننا الذين يعيشون هذا الواقع ، وعندهم تفاصيل دقيقة ، ودراســات عميقة لواقع العالم الإسلامى اليوم ، هم يعرفون أن الجمرة الإيمانية

التى كانت تخشى فى الزمن القديم وهو الإستهانة بالحياة والحنين إلى الشهادة ، قد إنطفأت فى صدور المسلمين أو كادت تنطفىء ، وكان هؤلاء القادة الأجانب يعرفون أن المسلمين يندفعون لهتاف الإيمان ؟ ولا يفهمون إلا لغة القرآن والدين ، وإنهم لا يندفعون إلا لما فيه أجر الآخرة ، ولما فيه رضا الله تبارك وتعالى ، إن عددا من الأقطار الإسلامية كسبت المعركة مع العدو وتغلبت عليه بفضل الهتاف بالشهادة فى سبيل الله . والهتاف بالجهاد فى سبيل الله، ولكن لما انتهى هذا الدور وخرجت من المعركة ، فأول ما تحـــاول وتصرف جهودها إليه هو القضاء على هذه الجمرة الإيمانية ، إلى الآن لا تزال الصلة الأقوى التى تربط المسلمين بصدر القوة التى تأتى بالمعجزات ، هى الصلة بالله تبارى وتعالى ، وبرسوله ، ولا تزال روائح الجنة تفوح مهما حاول السياسيون ، ولكن لا تزال الجمرة الإيمانية كامنة فى الرماد ، ولكن أكثر قادة البلاد عـــادوا ، لا يربطهم رباط بهذه اللغة الإيمانية والحمية الإســـلامية ، وقد ضعفت الصلة بينهم وبين مصادر الإيمان أنه جيل قد نشأ فى أحضان الحضارة الأوربية ، وكليات التربية العسكرية فى عواصم أوربا ، وأساتذتهم ومربوهم يعرفون أنه قـــد أفلت الزمام من أيديهم ، وانقطع الخيط الذى كان يربطهم بالمجموعة الإسلامية ، وبالجماهير المسلمة . واستبدلوا به خيطاً سياسياً . والأوربيون يعرفون ، أن هذا الخيط إذ نفع وأفاد فى بلد . فإنه لا ينفع فى بلد إســـلامى. منهم من درس القرآن . ومنهم من درس تاريخ عصر الصحابة . ومنهم من درس تاريخ صـــلاح الدين الأيوبى ، وتاريخ الغزوات الإسلامية ، وتاريخ الدعوة إلى الإسلام ، فهم يعرفون أن الخيط الذى يربط قادة البلاد بالجماهير المسلمة ، ليس فيه قوة أبداً ،

إنه ينقطع سريعاً إن هذه الجماهير على ما أصابها من الوهن وعلى ما أصابها من أدواء وعلل ، وعلى ما أصابها من تدهور ، لا تزال تندفع للهتاف الدينى والإيمانى فى كل مكان .

لقد أصبحت الأمة الإسلامية الآن هدف المآسى والمهازل فى وقت واحد ، لماذا ؟ لأننا هازلون ، وهزيلون ، العالم الإسلامى أصبح هزيلا وهازلا ، لا جد فيه ، تزور العالم الإسلامى من أقصاه إلى أقصاه ، من الشرق آلى الغرب ، تجدون هناك بطراً وترفاً ، تجدون هناك فيضاً من ملاهى ، وملاعب ، هل هناك تناسب ، تناسب بين ما نعيشه ونمط الحياة الذى نحياه فى هذه المدن الآمنة المطمئنة ، وبين ما يقع فى الجزء الآخر فى العالم الإسلامى ، هل إذا زار أحد من الزوار من الخارج ورأى هذه المدن ، هل يستطيع أن يفهم أن هذا جزء من الجسم الإسلامى الذى تتقطع أجزاؤه فى ناحية أخرى ، هل هذه الأمة هى نفس الأمة ، هذه الأمة التى تسبح فى بحر من البذخ هل هى الأمة التى أصبحت هدفاً فى لبنان وفى أفغانستان ، هل هم كلهم أعضاء الأسرة ، والرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول « مثل المسلمين فى توادهم ، وتراحمهم ، وتعاطفهم كمثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى (١) .

يقول الله تعال :

« وإن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون »

هل نحن أمة واحدة ، يقول بعض المستشرقين ، إنهزم الإسلام

---

(١) حديث متفق عليه .

مرات عديدة سياسياً وهزم روحياً ، وحين إنهزم سياسياً هــزم الفاتح المسخر المدمر روحياً .

يجب أن تخمد هذه المعركة الدامية الحامية ، هذه المعركـة غير الطبيعية ، هذه المعركة الصناعية التى استنزفت جهــود القادة والسادة ، وولاة الأمور ، والمفكرين فى بلادنا الإسلامية ، أن تخمد وتنتهى هذه المعركة غير الحقيقية التى هى حامية بين الشعوب والجماهير والحكومة ، فالحكومات تتجه اتجاهاً آخر ، والشعوب تتجه الاتجاه القديم الإسلامى إلى الآن ، لا الحكومات نجحت فى جر هذه الشعوب والجماهير المسلمة ، إلى الابتعاد عن جادة الإسلام ، ولا الجماهير نجحت فى إقناع هؤلاء الحكام والملوك فى استخدام الطـاقة الذرية الهـائلة التى هى كامنة فى نفوس الجماهير المسلمة وهى ، قوة الإيمان التى هى أقوى من الطاقة الذرية ، فإذاً من الحكمة ومن المعقول والنصيحة ، ومن التوجيه الرشيد السديد أن تنتهى هذه المعركة المصطنعة التى تحتدم هذا الصراع النفسى ، والصراع العملى الذى يحتدم بين من يملك الزمام، سواء من يملك زمام التربية ، أو زمام السـياسة ، أو زمام القيادة ــ والذين نشأوا فى أحضـان الثقافة الأوربيـة ، وبين الشعوب المسلمة الوادعة المخلصة ، البريئة الصادقة ، القوية ، الوافية ، الوفية ، الزاكية الزكية ، البقية النقيـة ، أليس من الخير ، أليس من المعقول أن تنصرف كل الجهود ، والطاقات إلى استخدام هذه القوة التى لا يزال المسلمون يملكونها ، قوة الإيمان، وقوة الفداء ، والوفاء للإسلام ، وبذل النفس والنفيس لله تبارك وتعالى .

ثم لابد أن تنهض هؤلاء الربانيون الذين ذكرنا بعض النماذج من سيرتهم ومن دعوتهم للإسلام ، فى كتابنا « رجال الفكر والدعوة فى الإسلام » و «ربانية لا رهبانية » فإن الربانيين الصادقين ، الراسخين فى العلم المتبعين للسنة ، فيهم وجدهم قدرة على تربية النفوس على الإيمان والإسلام ، والخلق المستقيم ، والتمرد على المادة وعلى الشهوات ، والتغلب على المغريات المعاصرة ، كان مازال فى العالم الإسلامى هذا النمط من الربانيين ، ما خلا منهم عصر ، ولكن اجتمعت عدة أسباب ، وعدة أدوات لمحاربة هـذه الربانية الصافية ، فأقول كما قال الحطيئة :

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللوم أو سدوا المكان الذى سدوا

لنملأ فراغ الربانيةالمشرقة الصادقة المؤسسة علىالكتاب والسنة وعلى الزهد فى حطام الدنيا والإنصراف إلى الآخرة ، والإشتغال بذكر الله تبارك وتعالى ، وإستحضار الآخرة ، حتى نستطيع أن نجر هذه المجموعة الكبيرة إلى بر السلام ، إلى حقيقة الإسلام ، وإلى ماضى هذه الأمة .

أما بغير ذلك ، فإن العالم الإسلامى ، إنما أتحرج أن أقول ، ولكننى أقول ، لأنه قد قال قبلى مفكر كبير وهو أكبر الكتاب فى عصر أمير البيان الأمير شكيب أرسلان يقول : « كاد أن يكون العالم الإسلامى بحراً كبحر العروض ، بحر ولا ماء » بحر العروض لا ماء فيه ، أصبح العالم الإسلامى لا يحمل قوة ترهب ، ولا يحمل القوات التى هى تمنع عن هذه المآسى .

هذا هو واقع العالم الإسلامى الذى نشاركه جميعاً ولو كنت منفرداً وفى عزلة عن هذا الواقع لما إجترأت أن أقول هذا ، ولكنى أشاركهم كأى مسلم وكعربى ونصيبى ليس أقل من نصيبكم ، فيسوغ لى أن أتكلم بهذه الصراحة ، لأنى لا أشهد على أنفسكم ، ولا على هذه المنطقة ولا على البلاد العربية فحسب ، بل أشهد على نفسى ، وعلى إخوانى ، وعلى من أزاملهم وأشاركهم ، وأتعاون معهم .

هذا واقع العالم الإسلامى يجب أن يتغير ، وفى صالح الإنسانية أن يتغير ، وفى صالح مصير الإنسانية أن يتغير ، وإرادة الله أن يتغير هذا الواقع ، ويرجع العالم الإسلامى إلى ما كان عليه فى قرون مشهود لها بالخير ، فى زمن عظمة الإسلام ومجده ، ولا خير ، ولا لذة فى الحياة ما دام العالم الإسلامى هكذا ، لا لذة للتذ ، ولا عزة لمعتز ، ولا قوة لقوى ، إذا كان العالم الإسلامى بهذه الصفة .

هذه كلمتى وأنا أشعر بأنها قاسية ، ولكنها صريحة ، وصادقة إن شاء الله ، وأرجو من الله أن يكون لها صدى فى نفوسنا ، ويكون لها مفعول فى نظام تفكيرنا ، والله الموفق والمعين .

درس من الحوادث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبين محمد وآله وأصحابه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أيها السادة ! إننى فى هذا الموقف الكريم ينازعنى عاملان متناقضان ، فأشعر بنزاع نفسى ، العامل الأول : أن الموضوع هو موضوع الساعة ، وحين يقع الحريق — لا قدر الله وأعاذكم الله وإيانا جميعاً منه — وتلتهب النار فى قرية ، فهناك تخرس الألسن وينطق الواقع ، والواقع أبلغ وأبين من الف لسان وألف قلم ، فيستطيع الولد أن يقوم على ربوة أو يرتقى مكاناً عالياً وينادى ، الحريق ! الحريق ! وكلمة الحريق هى أبلغ من ألف خطبة ومن ألف محاضرة ، لأن النار تنطق بلسانها ، وتقول : إتقونى إحذرونى ، وأعدوا لى عدتكم ، كذلك إذا جاء فيضان وتحدى القرية فإن هذا الفيضان يغنى عن كل خطبة ، وعن كل محاضرة ، هذا هو العامل الأول الذى ينازعنى ويقول لى: ماذا عسى أن تقول ، أليس الواقع المؤلم ، الواقع البين الظاهر مغنياً عن كل بيان ، ألسنا نعيش فى حالة طوارىء ؟ ألا تحدث حولنا حوادث تنطق بخطرها ، وتنبه النائم وتعلم الجاهل ، وتنطق الأخرس .

والعامل الثانى ، هو سنوح هذه الفرصة للإعتبار والأدكار ، وتلقى الدروس ، والإنتفاع بالواقع ، فهناك حوادث لا تدع

فرصة وإنما يحضر الإنسان أو المجتمع ويكون كما قال الله تعالى : **« كلا إذا بلغت التراقى وقيل من راق ، وظن أنه الفراق ، والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق »** فليس هذا هو الشأن والحمد لله الآن ، فلا نزال نعيش . ولا نزال نبصر ونعى ، ولا تزال أمامنا فرصة مفتوحة لتلقى الدروس والعظات والعبر ، ، فأنا أنتهز هذه الفرصة السانحة ، فقد تفوت الفرصة ولا تعود ، وقد تغلب الأمم والشعوب على أمرها ، فلا تملك من أمرها شيئاً ، ولاتستطيع أن تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، إنما تؤخذ على غرة ، ولسنا ندرى هل تقصر هذه الفرصة أو تطول ، ومتى يحال بيننا وبين الإدكار والإعتبار ، وتلقى الدروس من الحوادث والأخبار .

إن مما أكرم الله تعالى به الإنسان وشرفه على جميع خلقه أنه منحه صلاحية الإعتبار ، وصلاحية تلقى الدرس عما حوله ، فالحجر لا ينتفع ولا يغير موقفه ، إنما هو حجر جامد ميت لا حراك به ، ولا وعي ولا عقل ، كذلك الأشجار والنباتات ، وكذلك كثير من الحيوانات والعجماوات ، ولكن من الحيوانات من يتعظ ويعتبر وينتفع بما يقع حوله ، اضرب الكلب مرة أو مرتين لا يقصدك ، إنه يعرف من يطعمه ، ويعرف من يضربه ، الكلب يعرف البيت الذى يجد فيه عظماً أو كسرة خبز ، ويعرف البيت الذى يستقبل فيه بهراوة وينزل عليه بالضرب ، فهو يميز بين البيتين ، ويقصد البيت الذى يجد فيه كسرة خبز أو لقمة عيش ، ويترك البيت الذى جرب مراراً انه يضرب فيه ، أما الفرس فهو معروف بذكائه ، وخصوصاً إذا كان جواداً عربيا ، فهو معروف بالذكاء الموهوب ، الذكاء غير المعتاد ، وبعض الحيوانات تنتقم وتثور فيها الغيرة فتأخذ الثأر ، والفيل والبعير

مشهوران بالحقد وأخذ الثأر وبالطبيعة الموروثة ، والذاكرة القوية ، يعرف البعير من أهانه ، ومن قسا عليه قسوة زائدة ، فينتقم منه ، فكيف بالإنسان ؟ والله سبحانه وتعالى يمدح الإنسان بهذه الميزة فيثير فيه العقل الواعى ، ويريد أن يستخدم الإنسان عقله ويقول : **« إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار »** « فاعتبروا يا أولى الأبصار » ويقول : **« والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً »** ويذم الذين لا ينتفعون بما يقع حولهم من حوادث وآيات وهذه هى الغاية الأخيرة التى يصل إليها الإنسان فى البلادة والشقاوة إذا فقد الوعى ، ولم ينتفع بالدروس القاسية ، والحوادث الصارخة التى تقع حوله ، فهناك لا يمهل ، فيؤخذ ويبطش به البطش الشديد ، يقول الله تبارك وتعالى : **« وكأين من آية فى السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون »** ويقول : **« أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، أو آذان يسمعون بها ، فانها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور »** .

وأرجو أن تتأملوا فى الآية القارعة الزاجرة المنبهة التى وصف الله فيها الكفار ، وشنع فيها على غفلتهم ، وتماديهم فيما هم فيه من باطل ولهو ، وإطباقهم العين عما يقع حولهم من حوادث وزواجر ، يقول الله تعالى : **« ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريباً من دارهم حتى يأتى وعد الله ، إن الله لا يخلف الميعاد »** إن موضع الإعتبار فى قوله **« أو تحل قريبا من دارهم »** هذا هو الكتاب المعجز الذى ينطق من قبل أربعة عشر قرناً بما يقع بعد قرون وعلى مسافات بعيدة ، كأنه كتاب طرى ينزل الآن ، لا يقول **« أو تحل قريباً من دارهم حتى**

يأتى وعد الله ، إن الله لا يخلف الميعاد » إلا الكتاب السماوى المعجز الذى نزل بالوحى .

فنحن كلنا يجب أن نكون على حذر من أن ينطبق علينا قوله تعالى « **وكأين من آية فى السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون** » وأن نتعظ بالحوادث التى تقع منا على غلوة سهم كما يقول العرب القدماء ، وأن نقرأ هذه اللوحة البارزة المكتوبة بقلم عريض أو « الكتابة على الحائط » (نوشته ديوار) كما يقول المثل الفارسى ، إنها أمارة تظهر وتبدو على الأفق القريب لا البعيد يقرؤها أمى ويفهمها غبى ، وهنالك موجات تموج حولنا ، وعواصف تهب علينا ، وصواعق تنزل على مقربة منا ، قد كان زمن كنا نستطيع أن نبصر كل ذلك ببصائرنا ، بفراسة المؤمن ، وبوعى العاقل ، وبدراسة المؤرخ الدارس لنهضة الأمم وسقوطها ، والمطلع على سنن الله تعالى فى الكائنات ، ولكن الحوادث الأخيرة نستطيع أن نبصرها بأبصارنا ، وبعيون رؤسنا ، لا نحتاج فى ذلك إلى ألمعية أو بعد نظر أو فراسة صادقة .

أيها الإخوان ! إن موضع الساعة هو الموضوع الملتهب كما يقال بالإنجليزية (Burning Topic) وكالسيف المصلت على الرؤوس ، إن هذه الحياة التى يعيشها كثير من الناس فى بلادنا الإسلامية والعربية ، حياة ما أنزل الله بها من سلطان ، وما تكفل الله لها بتأييد ونصر ، هذه الحياة لا تصلح للبقاء طبيعياً وعقلياً ، ودينياً وخلقياً ، هذه الحياة اللاهية الساهية ، هذه الحياة الباذخة المترفة ، هذه الحياة التى مثلها الأعلى المادة والمعدة ، هذه الحياة التى تدور حول فرد واحد ، أو حول أسرة واحدة ، أو حول طبقة واحدة ، هذه الحياة لا تصلح للبقاء إذا تركت وشأنها ،

ولم تنزل صاعقة من السماء ، ففى هذه الحياة من عناصر التدمير ، ومن عناصر الشــقاء ما يكفى للقضاء عليها ، لا تحتاج فى ذلك إلى عامل خارجى ، الشرارة إذا كانت كامنة فى حطب فلا تحتاج إلى إشعال نار ، لا تحتاج إلى مروحة تحرك ، أو يد قوية تشــعل ، الشرارة وحدها تكفى ، إن طبيعة الشرارة أن تلتهب وتحرق .

إن الحياة التى لا يشاهد الإنسان فيها إلا مسابقة مجنونة ـ كسباق الخيل المضمرة ـ للحصول على أكبر مقدار من الثروة ، مسابقة تتخطى المبادىء الإنسانية ، والحدود الخلقية ، جديرة بأن تزول وتنهار ، إسمحوا لى بالصراحة ، فهذا منبر رسول الله ﷺ ، وهذا هو المقام الذى كان ينطلق منه الإنذار ، أنا أعرف قــدرى ورحم الله من عــرف قــدره ، فأنا لا أنطــق تلقائياً ، ولكــن الوضع الحاضر هو الذى ينطقنى ، إن الحوادث هى التى تنطقنى وتمسك بتلابيبى وتقول لى : انطق وتكلم ، ولا تخف أحــداً ، أنا طائر وقع على فرع شــجرة وبدأ يرفرف بجناحيه ويســجع ، ثم طار ، إن هذا المجتمع الذى يساق سوقاً عنيفاً لا رحمة فيــه ولا هوادة ، إلى غاية عمياء ، إلى غاية جاهلية ، مجتمع لا يدوم ، ولنا عبرة فى البلاد القريبة التى ما قصرت فى صيانة هذا المجتمع ، واعتمــدت على كبرى الطاقات فى الدنيا ، واســتخدمت الطرق الحكيمة الداهية ، والوسائل الجبارة القوية ، والمخططات البارعة الدقيقة التى لم يستخدمها أى بلد وأى شعب فى هذا العصر ،فماذا كانت النتيجة ؟ ((**فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار**)) إن ســاعة الــزمان لا تقف ، وإن عقرب الإنقــلاب

والتحول دائم سائر ، إنه يتجه إلى بلد دون بلد ، وإذا إتجه إلى بلد فى دورانه فإنه يستطيع أن يتجه إلى بلاد اخرى ، فلنكن كلنا على حذر ، ولنأخذ عدتنا قبل أن يتجه هذا العقرب إلينا ويستهدفنا ، إننا نلقى المسئولية على حوادث سياسية ، نعم إن لها تأثيراً ، وإن الإنقلابات السياسية يجب أن يحسب لها الحساب ،

ولكن الذى يفتح الطريق لهذه الحوادث ، ويمهد الأرض لها ، ويقرب البعيد ، ويجعل شبه المستحيل ممكناً وما لم يكن يتصوره الإنسان واقعاً ، هو الأسلوب الذى تحياه بلادنا ، وهو توفير أسباب الخذلان من الله ، والسخط من الناس ، والحياة التى لا تتفق مع الدين والعقل .

إن تاريخ حضارة الأمم ، وتاريخ نهضتها وزوالها يعلمنا أنه إذا أصيب مجتمع بشرى بالتخمة بالمدنية والرفاهية ، وابتلى بالمسابقة المجنونة فى الحصول على وسائل الترفيه وترقية المدنية ، وفى رفع مستوى المعيشة ، وبلغ رجال هذه المدنية قمة فى البذخ وقمة فى الترف ، وكانت عندهم جيوش كثيفة جرارة ، والعدد والعدة التى يحاربون بها العدو ، ويقهرونه ، فان هذا المجتمع يزول لا محالة ، وإن هذه المدنية تنهار ، لا ينقذها شىء من هذا المصير المشئوم المحتوم والنهاية الأليمة المقدرة .

قد أصيب المجتمع الفارسى الإيرانى القديم فى القرن السابع المسيحى الذى كان يحكمه أهل ساسان والأسرة الكيانية العريقة فى المجد والعظمة بنفس الداء ، فقد بلغت المدنية فيها أوجها ، وذروة

مجدها وزهوها، وهنالك أسماء معروفة فى التاريخ الإيرانى، مذكورة بالأنساب ، كانوا يحافظون على هذه الأعراف ، ويوفون بهذه الشروط ، ولما غزا العرب المسلمون هذه المملكة الساسانية المترامية الأطراف ، التى توزعت العالم المتمدن المعمور مع الدولة البيزنطية لم ينفعهم هذا الترف ولم يغن عنهم شيئاً بل كان من أكبر أسباب زوال هذه المملكة وإنهيار هذه المدنية .

إلى هذه الحال وصلت المدنية الفارسية الباذخة ، وأصبح قادتها وأبناؤها لا يستحقون رحمة من السماء . ولا ينالون رحمة من بنى جلدتهم ، فكانوا يملقونهم إذا حضروا ، ويلعنونهم إذا غابوا . وكانوا يبغضونهم بأعماق قلوبهم ، ويمدحونهم بأطراف ألسنتهم ، رياءاً ونفاقاً ، وكانت المدنية تزخر بآلاف من الشعراء ، وآلاف من الأدباء ، ومئات من المؤسسات الكبيرة ، وثروة كان يحويها إيوان كسرى وقصر المدائن ، وتبدو ثروة خيالية أسطورية لا يصدقها الواقع ولا يسيغها العقل ، ولكن هذه المدنية الراقية ، وهذه الثروة الهائلة لم تنفع أهلها، وكان هذا الجنون لترفيه النفس، وإشباع الشهوات ، وإرضاء الغريزة ، هو الذى كان سبب هلاكهم ، وكان من أسباب سرعة الفتح الإسلامى العربى .

إخوانى ! إن هناك حياة لا تستحق التأييد والنصر من الله تبارك وتعالى ، لأن الله سبحانه وتعالى هو العدل البر الرحيم ، وهو العزيز الحكيم ، وهو رب العالمين ، ليس رب أمة وليس رب شعب ، وليس رب بلد ، وليس رب مجتمع ، إنها ليست حاجات يجوز أن تكمل ويجب أن تحترم ، إنما هى نهامة بالمال ،

إنها معدة خيالية لا وجود لها إلا فى التصـورات ، لا وجود لهـا إلا فى الأرقام ، وفى حسابات البنوك ، إذا تولدت هذه المعـدة الخيالية فى مجتمع ، وكانت هى الحاكمة ، كانت هى الآمرة الناهية ، إكتسحت المجتمع موجة عارمة من التنافس المادى والجشع المالى ، والفوضى الخلقية ، والقسوة والوحشية هنالك يأذن الله بزوال هذا المجتمع وينطبق عليه قوله تعـالى : **« وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً »** .

إن أخـوف ما أخاف على هذه المناطـق التى أكرمها الله بالثروات والخيرات وأدر عليهـا الرزق الوفير والخير الكثـير ، هو « البطر » (١) إننى إذا قرأت قوله تعـالى : **« وكم أهلكنـا من قرية بطرت معيشتها ، فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحـن الوارثين »** أخذتنى رعدة ، وملكنى الإشـفاق والحذر على هذه المجتمعات السـعيدة التى تعيش فى عصر « ألف ليلة وليلة » وفى عصر الأساطير والأخيلة ، إن أخوف ما أخاف عليها ليس هو العدو الخارجى ، لكن هو العدو الكامن فى النفوس ، الجاثم على المجتمع ، هو الذى أنذر به رسول الله ﷺ قريشاً فى خطبته على جبـل الصفا حيث قال « إنى نذير لكم بين يـدى عـذاب شديد » .

وما كانوا يتوقعون حين سمعوا صوته : يا صباحاه إلا أنه

---

(١) قال فى القاموس : البطر النشاط ، والأشر وقلـة إحتمـال النعمة ، والدهش والحيرة ، والطغيان بالنعمة وكراهية الشىء من غير أن يستحق الكراهية .

يخبرهم بعدو كامن ، قاعد بالمرصاد وراء جبل الصفا يغير عليهم على غرة منهم ، فيستاق إبلهم ومواشـــيهم وينهب أموالهـــم ويسبى ذراريهم فهذا الذى كانوا يعرفون من معنى هذا الهتاف ، ولم يجربوا إلا نوعاً واحداً من العدو ، وهو العــدو الخارجى من إحـــدى القبائل المعادية المنافسة ، لكن الرسول ﷺ نبههم على خطر جديد ، لم يكن لهم به وهو العدو الباطنى ، هو الحياة الجاهلية الوثنية التى كانوا يعيشونها بعقائدها وأخلاقها ومثلها ، إن العدو إذا وجد فى داخل مجتمع ، وفى البيوت وفى المنـــازل ، وعشش وباض وفرخ فى الأخلاق ، وفى الميول والرغبات ، وفى المثــل العليا ، والمفاهيم والقيم ، فهذا هو العدو الحقيقى الذى لا يؤمن حينــاً ولا يفارق أبداً ، إنمـــا هى حياة جاهلية برأ الله العرب منهـــا قبل أن يبرىء منها غيرهم. فكانوا حاملى راية المساواة الإنسانية، وراية الرحمة بالإنسانية المعذبة ، وراية التقشف فى الحياة ، وراية الزهد فى حطام الدنيا ، وراية إيثار الآجلة على العاجلة ، وإيثار الغير على النفس وقد وصفهم الله بقوله ((**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**)) .

وهم الذين خاطبهم مربى الأمة وحكيمها ، الخليفة الإسلامى العربى ، عمر بن الخطاب القرشى العدوى ، فى وصيته الحكيمة للعـــرب « إياكـــم والتنعـــم وزى العجم ، وتمعـــددوا (١) ، واخشوشــــنوا (٢) ، واخشـــوشـــبوا (٣) واخلولقـــوا (٤) ،

---

(١) تمعدد الغلام : شب وغلظ . وقيل معناه : تشبهوا بعيش معد بن عدنان ، وكان ذا غلظ وتقشف .
(٢) إخشوشن : تخشن فى المطعم والملبس .
(٣) إخشوشب : صار صلباً كالخشب فى أحـــواله وصـــبره على الجهد .
(٤) تبذلوا فى الملابس .

واعطوا الركب اسـنتها ، وانزوا نزواً (١) وارموا الأغـراض ، وعليكم بالشمس فإنها حمـام العـرب (٢) » فكان يجب أن يكون العرب أبعد الأمم عن الحياة الرخية الرقيقة ، وأكثرها محافظـة على حياة البساطة والخشونة ، والأخذ بالعزيمة ، فانها هى الأمة المهيأة لقيادة البشرية فى كل زمان ، فكيف إذا كانت بين فكى أسد ومحاطة بالأعداء والأخطار .

إنما شقيت الإنسانية ، وشقيت المدنية دائماً بالحاجاب الخيالية والغايات المختلفة والمثل الزائفة ، إنها لم تشق بالحاجات الطبيعية ، إنه لا ذنب على المعدة الحقيقية ، وقد أحسنت الشاعرة الجاهلية حين عيرت أخاها فى طمعه الزائد فى المال ، وقالت :

وهل بطن عمرو غير شبر لمطعم ؟

إن المعدة الخيالية لا تملؤها الرمال ، ولا تملؤها الأحجار والجبال ، وصدق رسول الله ﷺ « لو كان لإبن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب » .

إن أحد نوابغ هـذا العصر وكان إسرائيلى السـلالة ، يهودى الديانة ، غربى النشأة ، وهو محمد أسد النمساوى الذى كان يسمى سابقاً بليوبولد ويس Leopold Veiss يحكى قصة إسلامه فيقول : إنى كنت مسافراً فى سنة ١٩٢٦م فى قطار برلين تحت الأرض ، وكانت معى زوجتى ، وهى رسـامة وفنانة ، كانت

---

(١) نزا ينزو ونزواً : وثب ، يعنى إركبوا الخيل وثباً ونزواً .
(٢) رواه البغوى عن أبى عثمان النهدى .

ذكية جداً ، وقد لاحظت أن كل زملائى فى هذه الدرجة مكتئبون تعلو وجوههم كآبة ، ويغشاها قتام ، وكان ما يحملـونه من متاع ويلبسونه من ملابس ، ويتحلون به من خـواتم ، يدل على أنهم من الطبقة المثرية فى البلد ، وكان الزمن زمن الرخاء الذى عقب سنوات « التضخم » فى أوربا ، فأنا تحيرت ، وفكـرت ، وقلت : لماذا هذه الكآبة ، وما سبب هذا الحزن العميق الذى هم غارقون فيه ؟ ولفت نظر زوجتى ، وقلت : ياعـزيزتى ! انظرى فى وجوه هؤلاء القوم ألا تشعرين بأنهم تعلوهم الكآبة ؟ قالت : نعم ، إنهم جميعاً يبدون وكأنهم يعانون آلام الجحيم ، أردت أن أفسر هذه الظاهرة ، فلم أنجح ، ورجعت إلى مكتبى ، فإذا بالمصحف على منضدتى ، فأخذته من غير قصد وفتحت من غير إختيار ، فإذا بسورة التكاثر تطالعنى ، ويقول الله تبـارك وتعـالى :

« ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر ، كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ، كلا لو تعلمون علم اليقين ، لترون الجحيم ، ثم لترونها عين اليقين ، ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم » .

وكنـت متردداً هـل أدخـل فى الإسـلام ، أو لا أزال أشرحه ، واعرضه فى الأسلوب العلمى العصرى كما كان شأنى ، ولم أكن قررت بعد أن أعتنق الإسـلام ، ولمـا قرأت هـذه السورة ، قلت : والله إن هذا الكلام لا يأتى بها إلا من ينزل عليه الوحى ، هذا الكلام لا يقوله بشر قبل ثلاثة عشر قرناً ، إنـه يصور المجتمع الغربى المعاصر الراقى بقسماته ومخايله ، ويتنبأ

بالعذاب النفسى الذى يتميز به هذا القرن العشرون رغم رقيه الصناعى والحضارى ، ويعين مصدر هذا العذاب والشقاء الذى كان يعانيه ركاب القطار ، الذين رافقتهم ويعانيه المجتمع الأوربى بشكل عام وهو « داء التكاثر » لا غير ، فمن ساعتى خرجت إلى صديق لى مسلم هندى ، وقلت : يا أخى ماذا يفعل من يريد أن يدخل فى الإسلام ؟ قال : يقول **« أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله »** فنطقت بالشهادتين وأصبحت مسلماً (١) .

إخوانى ! أنا أوصى أولا نفسى وإياكم بعد ذلك ، أن نعتبر بالحوادث التى تقع حولنا ، وأن نغير نفوسنا قبل أن تغيرنا العوامل القاهرة ، المفروضة علينا فى الداخل ، أو الواردة إلينا من الخارج ، التى تجوس خلال الديار ولا ترحم أحداً ، ولنجعل المثل الكامل هو الحياة الإسلامية العادلة المؤسسة على إيثار الآخرة على الدنيا ، المؤسسة على الحقائق الغيبية الدينية ، والمثل الخلقية ، والمبادىء الفاضلة ، ونحترز من الذنوب والكبائر ، وقد كتب سدينا عمر إبن عبد العزيز إلى قائد جيشه فقال :

« آمره الا يكون منشىء من عدوه أشد إحتراساً منه لنفسه ومن معه ، من معاصى الله ، فإن الذنوب أخوف عندى على الناس من مكيدة عدوهم ، إنما نعادى عدونا وننصر عليهم بمعصيتهم ، ولولا ذلك لم يكن لنا قوة بهم ، لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا

---

(١) إقرأ القصة بطولها ونصها فى « الطريق إلى مكة » لمحمد أسد ص ٣٢٧ ــ ٣٢٩ ولقد لخصتها فى المحاضرة إعتماداً على ذاكرتى .

كعدتهم ، فلو استوينا نحن وهم فى المعصية كانوا أفضل منـــا فى القوة والعدد ، فإلا ننتصر عليهم بحقنا لا نغلبهم بقـــوتنا ، ولا تكونوا لعداوة أحد من الناس أحذر منكم لذنوبكم » (١) .

أقول هذا وأستغفر الله لى ولكم ، وأدعو لكم وللمسلمين جميعاً ببقاء العافية وطول السلامة ، والتوفيق والهداية .

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لإبن عبد الحكم .

الفهـــــرس

من مطبوعات دار الصحوة

١ ـ عصر الالحـــاد
تأليف محمد تقى الدين الأمينى
ترجمـــة د / مقتدى حسن ياسين
مراجعة وتقديم د / عبد الحليم عويس

٢ ـ ثقـــافة المســلم
د / عبـــد الحليم عويس

٣ ـ الوقت فى حيـــاة المســلم
د / يوســـف القرضاوى

٤ ـ الرســـول والعــلم
د / يوســـف القرضاوى

٥ ـ صلاح الأمـــة على هـــدى السنة
د / محمـــد محمـــد الشريف

٦ ـ مؤشرات حـــول الحضارة الإسلامية
ـ دكتـــور / عماد الدين خليل

٧ ـ الدولة والســـلطة فى الإسلام
دكتور / محمـــد معروف الدواليبى

٨ ـ قضية البعث الإسلامى المنهج والشروط
تأليف / وحيـــد الـــدين خـــان
مراجعة وتقديم د/ عبد الحليم عويس

٩ ـ ازمة المثقفـــين تجـــاه الإسلام
دكتور / محسن عبـــد الحميد

١٠ ـ المختـــار فى الرد على النصارى
مع دراســـة تحليلية تقويميـــة
لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
تحقيق ودراسة دكتور / محمد عبد الله الشرقاوى

١١ ـ من معـــالم الحـــق
فى كفاحنا الإسلامى الحديث
محمـــد الغـــزالى

١٢ ـ الإسلام كمـــا ينبغى أن نؤمن به
دكتور / عبـــد الحليم عويس

١٣ ـ ضوء السارى الى معرفة رؤية البارى عز وجل
صنفه الشيخ الامام العلامة الحافظ الضابط
المتقن شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل
بن ابراهيم الشافعى عرف بأبى شامة رحمه الله
تحقيق دكتور / احمد عبد الرحمن الشريف

١٤ ـ الوجيز فى الإقتصاد الإسلامى
دكتور / محمد شوقى الفنجرى

١٥ ـ واقعنا ومستقبلنا فى ضوء الإسلام
تأليف / وحيد الدين خان
ترجمة د. سمير عبد الحميد إبراهيم
مراجعة / د . عبد الحليم عويس

١٦ ـ امهـــات المؤمنـــين
أحمد حسين شرف الدين

١٧ ـ أحـــاديث صريحـــة
مع إخواننا العرب والمسلمين
ابو الحسن الندوى

١٨ ـ نفحـــات الإيمـــان
بين صنعـــاء وعمـــان
أبو الحسن النـــدوى

١٩ ـ العالم الإسلامى اليوم
محمود شاكر

٢٠ ـ ادب الصحوة الإسلامية
من بحوث الندوة العالمية للأدب الإسلامى المنعقدة فى ندوة العلماء ، لكهنؤ
واضح رشيد الحسنى الندوى

٢١ ـ الأدب الإسلامى وصلته بالحياة
مع نماذج من صدر الإسلام
محمد الرابع الحسنى الندوى

٢٢ ـ تقوية الإيمان وطريق النجاة من الشرك والعصيان
تأليف العلامة / محمد اسماعيل الشهيد (رحمه الله)

٢٣ ـ شريعة الإسلام فى الجهاد
أبو الأعلى المودودى

٢٤ ـ الإنسان القرآنى
وحيد الدين خان

٢٥ ـ سر تأخر العرب والمسلمين
محمد الغزالى

٢٦ ـ دعوة للأصالة والخروج من التبعية
أنور الجندى

٢٧ ـ الرفيق إلى البيت العتيق
د/محمد رأفت سعيد

٢٨ ـ القول السديد فى كشف حقيقة التقليد
العلامة / محمد أمين الشنقيطى

٢٩ ـ حماية الإسلام للمرأة
د/محمد بن سعد الشويعر

رقم الإيداع ٨٥/٣٢٢٠

ترقيم دولى ٩ — ١٤ — ١٤٣٠ — ٩٧٧

مطبعـــة عبير للكتـــاب

١٦ ش لمعى المطيعى ـ حدائق حلوان